

تمهيد:

لاشك أن التغيير الاجتماعي - الثقافي الذي مس المجتمعات البشرية على مر العصور وخلف تغيرات في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، ووصلت إلى جميع مؤسسات المجتمع بما فيها الأسرة، التي تملصت من وظائفها الواحدة تلوى الأخرى ليقتصر اليوم دورها على الإنجاب ومع تآزم الوضع الاقتصادي، انخفض المستوى المعيشي وانخفض معه الدخل الفردي للأسرة، مما دفع بالمرأة للخروج للعمل للمساعدة في زيادة الدخل، وهنا تحول دور الأسرة من وحدة اقتصادية منتجة إلى وحدة مستهلكة، هذا ما ألزم المجتمع إيجاد مؤسسة أخرى مكملة تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية إلى جانب الأسرة، فكانت المدرسة هي المؤسسة الأنسب لهذا الدور.

سنحاول التطرق في هذا الفصل إلى مفهوم المدرسة، أدوارها ووظائفها، ونخص بالذكر

المدرسة الجزائرية ونختتم بمعالجة سوسيولوجية للمدرسة.

1- مفهوم المدرسة:

تحت هذا العنوان سنتطرق إلى إعطاء تعاريف للمدرسة في اللغة والاصطلاح، ثم نعرض على نشأة المدرسة ومراحل تطورها عبر مختلف الحقب التاريخية.

1-1- تعريف المدرسة:

سنحاول إعطاء تعريف للمدرسة في اللغة والاصطلاح.

أ- المدرسة في اللغة:

أخذت المدرسة من الفعل "دَرَسَ"، والتي تعني دَرَسَ الكتاب: يُدْرِسُهُ وِدْرَاسَةً، وِدَارَسُهُ أي عناده حتى انقاده لحفظه.

دَرَسْتُ: قرأت كتب أهل الكتاب.

دِرَاسَةً: ذاكرته.

المُدْرَس والمُدْرَس: الموضع الذي يدرس فيه.

المُدْرَس: هو الكتاب.

المُدْرَس: الذي قرأ الكتاب ودرسها.

المُدْرَس: البيت الذي يدرس فيه القرآن، وكذلك مدارس اليهود⁽¹⁾.

المُدْرَسَةُ: هي مكان الدراسة وطلب المعرفة، جمع مَدَارِس⁽²⁾.

دَرَسُ: تعليم يعطيه مدرس أو أستاذ ويلقيه على صف أو جماعة مستمعين. مدرسة: جمع مدارس - "دار للتعليم الجامعي العام أو الاختصاصي"⁽³⁾.

والمُدْرَسَةُ⁽⁴⁾: يقصد بها بناء أو مؤسسة تربوية محددة، فالمدرسة والمنهج مصطلحان يعنيان المضمون نفسه في العلوم الاجتماعية".

(1) - ابن منظور: لسان العرب المحيط: قدم له الشيخ العلابي أعاد بنائه على الحرفة الأولى من الكلمة: يوسف الخياط، دار الخيل، ودار اللسان، المجلد 2، بيروت، 1988، ص 607.

(2) - خليل الجر: المعجم العربي الحديث لاروس، باريس، ص 1087.

(3) - انطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مراجعة: مأمون الحموي وآخرون، دار المشرق، بيروت (لبنان)، 2000، ص 458.

(4) - فريديريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، أكاديمية للنشر، بيروت (لبنان)، 1993، ص 99.

وجاء في قاموس علم الاجتماع في تعريف مصطلح المدرسة:

« Ecole(sociologie de l') : pour la sociologie, l'école est d'abord une institution qui remplit des fonction globales d'intégration et de mobilité sociale, l'autonomie relative du système d'enseignement justifie cependant que l'on s'intéresse aussi à son organisation interne, à la spécifié de son action, qui consiste à transmettre dans le cadre d'une programmation délibérée, des ensembles de connaissances, de compétences et de dispositions aux jeunes générations, ainsi qu'aux attentes et aux pratiques des différents acteurs sociaux concernés par son fonctionnement »⁽¹⁾.

هنا مفهوم المدرسة حسب "ريمون بدون" في قاموس علم الاجتماع هي نظام اجتماعي يتكون من مجموعة وظائف؛ الإدماج والحراك الاجتماعي، وهو نظام تعليمي مستقل يضم مجموعات معرفية تعمل على كفاءة الأجيال الجديدة، هدفها العمل من أجل استمرارية هذا النظام.

وجاء في الموسوعة الالكترونية ويكيديا في تعريف المدرسة ما يلي:

الكلمة مدرسة هي مشتقة من جذر ثلاثي (د ر س)، الذي يتعلّق بالتعلّم أو التّعليم، على وزن (شكل / جذع) مفعّل (ة)، "المدرسة هي مؤسسة تعليمية يتعلم بها التلاميذ الدروس بمختلف العلوم و تكون الدراسة بها عدة مراحل و هي الابتدائية و المتوسطة أو الإعدادية و الثانوية و تسمى بالدراسة الأولية الإجبارية في كثير من الدول، وتنقسم المدارس إلى مدارس حكومية ومدارس خاصة"⁽²⁾.

ب- في الاصطلاح:

تتباين تعريفات المدرسة وتحدياتها بتباين الاتجاهات النظرية، ويتنوع مناهج البحث الموظفة في دراستها، ويميل أغلب الباحثين اليوم إلى تعريف المدرسة بوصفها نظاماً اجتماعياً، وفي إطار ذلك التنوع النظري يمكن استعراض مجموعة من التعريفات التي تؤكد تارة على بنية المدرسة وتارة أخرى على وظيفتها.

(1)- Raymond Boudon, Phillipe Besnard, Mohamed Cherkoui, Bernard Pierre Lécuyer : **Dictionnaire de Sociologie**, Larousse, Paris, 2005, P74.

(2) - لمزيد من التفصيل أنظر الموقع التالي: موسوعة ويكيديا: www.wwikidia.com 2010/02/20 على الساعة 23.00 سا.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

يعرف أصحاب المنهج التنظيمي المدرسة أنها "مؤسسة اجتماعية معقدة، لا يمكن إحداث التغيير في أحد أجزائها دون التأثير في بنيتها الكلية"، ففريدريك هاتسن يعرفها "بأنها نظام معقد من السلوك المنظم، الذي يهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم".

أما "لارنولد كلوس" يصف المدرسة على أنها: "نسق منظم من العقائد والقيم والتقاليد، وأنماط التفكير والسلوك التي تتجسد في بنيتها وفي إيديولوجيتها الخاصة"⁽¹⁾.

من خلال هذه التعاريف نجد أن أصحاب المنهج التنظيمي، عرفوا المدرسة على "أنها نظام اجتماعي معقد لأنه يتكون من نسق من النظم كالعقائد والقيم والتقاليد التي تمثل مكونات الثقافة وفق إيديولوجية خاصة بها تقوم بوظائف في إطار نظام عام ألا وهو المجتمع".

فوجد الباحث "فرديناند بونسون" يعرف المدرسة على أنها: "مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال الجديدة، ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية". من خلال تعريف الباحث "فرديناند بونسون"، نجد أنه حدد أهمية المدرسة التي تمثلت في كونها حلقة وصل بين الأسرة والدولة، والتي تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية للنشء الجديد لإلحاقه بالمجتمع فيما بعد.

في حين يرى "شبيمان" أن المدرسة هي "شبكة من المراكز والأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ، حيث يتم اكتساب المعايير التي تحدد لهم أدوارهم المستقبلية في الحياة الاجتماعية"⁽²⁾. هنا تعريف شبيمان للمدرسة تعريف بنائي وظيفي، فهو يعرفها من خلال المراكز والأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ، التي تمنحهم أدوار مستقبلية في المجتمع الذي ينتمون إليه.

ويرى الباحث "رابح تركي" أن المدرسة هي: "في الحقيقة والواقع المعبر الذي يمر فيه الطفل من حياة المنزل الضيقة إلى الحياة الاجتماعية الحقيقية، ومن هنا يجب أن تقلع المدارس أن تكون مجرد بناية للتعليم كما يسمونها، وأن تتحول إلى مجتمعات حية للتربية بأوسع معانيها"⁽³⁾. هنا يرى الباحث رابح تركي أن معنى المدرسة أوسع من مجرد مبنى تتم فيه عملية التعليم بل هي أهم مؤسسة بعد الأسرة ففيها يتعلم الطفل كيف يصبح فاعلا في المجتمع الحقيقي، فهي تساعد على التكيف الاجتماعي، وذلك بتأثره بقيم ومعايير ومعتقدات وتقاليد وأفكار ومبادئ المجتمع.

(1) - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب: علم الاجتماع المدرسي (بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004، ص16.

(2) - نفس المرجع: ص17.

(3) - تركي رابح عامرة: أصول التربية والتعليم، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص194.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

"والمدرسة الحديثة هي مؤسسة تربوية تتولى تنشئة الطفل من شتى نواحي نموه الجسمي، والعقلي والخلقي والاجتماعي، بحيث تجعل منه شخصية متكاملة من ناحية، وتعدده للتكيف الناجح مع الحياة ومنطق العصر الذي يسير على مناهج العلم والتكنولوجيا من ناحية أخرى⁽¹⁾.

في هذا التعريف الذي يعد تعريفا للمدرسة الحديثة، على أنها مؤسسة تقوم بدور تربوي فتقوم بتنشئة الأبناء من جميع النواحي العقلية والاجتماعية، من أجل صقل شخصية سليمة، كما تعمل على تكيفه مع متغيرات الحياة العصرية، فالمدرسة مؤسسة اجتماعية وظيفتها التربية والتعلم، وفق أهداف وبرامج تربوية مرسومة، هدفها إعداد جيل واع ومتعلم، يطمح إلى التقدم والرقى، فهي مؤسسة اجتماعية تتمو فيها العلاقات بين التلاميذ والمدرسين، وتتفتح من خلالها إمكانيات الأفراد وأنشطتهم الفكرية والعلمية، فهي تلعب دورا هاما في عملية إكساب الخبرات، فتشجع حاجة الطفل للانتماء والتغيير عن الذات والشعور بالنجاح.

وقد قدم "جون هولت John Holt" تعريفا يوصف بأنه نموذجي؛ "فالمدرسة في نظره يجب أن تكون المكان الذي يجد فيه الناس ما يرغبون فيه، والمكان الذي يساعدهم في تطوير القدرات والاستعدادات التي يرغبون بتطويرها"⁽²⁾. لقد أعطى هذا الباحث التربوي للمدرسة تعريفا وصفا حيث وصفها بالمكان الذي يوفر للناس أهدافهم الخاصة.

ويعني المفهوم التقليدي للمدرسة "أنها هي التي تشتمل الطلبة والمعلمين وإدارة المدرسة وصفوف التدريس، والملاعب والمختبرات وغيرها، وما يحيط بها من سور يفصلها عن المباني المجاورة"، والمعنى الحديث هو أن لفظ المدرسة يشمل علاقة بعملية التمدرس، وهو ما يطلق على النظام التعليمي بأكمله بأهدافه ونظمه ووسائله"⁽³⁾. جاء في هذا التعريف التقليدي للمدرسة مقومات المدرسة من طلبة ومعلمين وإدارة مدرسية وصفوف تدريس وملاعب ومختبرات وغيرها، لتشتمل حتى سور وجدران المدرسة.

(1) - مجلة وزارة التربية الوطنية: دروس في التربية وعلم النفس، العدد 07، الجزائر، 1973، ص 151.

(2) - هاني عبد الرحمن الطويل، صالح أحمد أمين عبائية: المدرسة المتعلمة (مدرسة المستقبل)، دار وائل للنشر، 2003، ص 18.

(3) - منصور عبد الحق: أخطاء تربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص 18.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

ويقول الباحث "منصوري عبد الحق" أن المدرسة "هي المؤسسة التربوية التي يقصدها أبناء المجتمع طلبا للعلم والمعرفة، والتي تستثير فيها عقولهم وتشحن ملكاتهم، وتهذب بها سلوكياتهم وأخلاقهم"⁽¹⁾. يريد الباحث من خلال هذا التعريف تعريف المدرسة على أنها مؤسسة تربوية هادفة مقصودة من أبناء المجتمع بهدف اكتساب العلم، لتوسيع المعارف والعلوم وتهذيب السلوك، فهي إذن لا تقوم بالتلقين المعرفي فقط، بل تمس الجوانب الاجتماعية والنفسية والخلقية.

كما أن المدرسة "هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الصغار نيابة عن الكبار الذين شغلته الحياة، إضافة إلى تعقد وتراكم التراث الثقافي.

في حين يعرفها الباحث "ناصر إبراهيم"؛ "على أنها تلك المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الطالع"، وهي المؤسسة القيمة على الحضارة الإنسانية⁽²⁾. جاء هذا التعريف حاملا صبغة ثقافية، فالباحث ربط فيه المدرسة بالحضارة الإنسانية وجعلها قيمة عليها، ومصيرها مرهون بها.

"تكاد تجمع التعريفات الخاصة بالمدرسة على أنها نظام متكامل يتكون من عناصر محددة ومتفاعلة، وتمارس أدوار ووظائف اجتماعية محددة في إطار الحياة الاجتماعي، فهي مؤسسة أو تنظيم يستمد قوته من أنه له أسلوبا يوجه العملية التعليمية الوجهة الصحيحة، كما أن لديها سرعة في انجاز هذه العملية، وكذلك قدرة على تنظيم المعلومات والاستفادة من التجارب"⁽³⁾. هنا يرتكز هذا التعريف على تعريف المدرسة كبناء اجتماعي ينتمي إلى نظام أو بنية مكونة من مناهج تعليمية.

وتدخل المدرسة تحت إطار التربية النظامية أو التربية المقصودة Formal education، وهي تتم عادة داخل نظام تعليمي في مؤسسات تربوية تعليمية خاصة، وفق مناهج وخطط دراسية وأنشطة تربوية مختلفة، تفرض على المتدريس القيام بامتحانات شهرية وسنوية لكي يتقدم من صف دراسي إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى، ويتم كل هذا من أجل تكوين فرد اجتماعي وفق إيديولوجية

(1) - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب: مرجع سبق ذكره، ص16.

(2) - ناصر إبراهيم: علم الاجتماع التربوي، دار جبل للنشر، بيروت، 1966، ص72.

(3) - عدلي سليمان: الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1999، ص07.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

المجتمع الذي ينتمي إليه، ويقوم بهذه العملية معلمون معدون لهذا العمل مسبقا داخل بناء اصطلاح عليه بالمدرسة محاط بجدران تحده عن المحيط الخارجي⁽¹⁾.

فالمدرسة هي مؤسسة أنشأها المجتمع عن قصد بهدف تنشئة أبنائه، ضمن مناهج تربوية تنتهي باختبارات تقييميه تكون بعد كل مرحلة تعليمية، حسب فلسفة المجتمع يقوم بها أشخاص مدربون مسبقا للقيام بهذا الدور، وتتم العملية التعليمية في بناء له جدران تحده عن المباني والمنشآت المجاورة له.

كما أنها "مؤسسة شكلية رمزية معقدة من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية"⁽²⁾.

من التعريفين السابقين للمدرسة، نستخلص أن المدرسة عند عالم الاجتماع هي نظام متكامل من سلوك أو أفعال يقوم بها الأفراد في المجتمع ضمن قيم تربوية تنظيمية وتفاعلات اجتماعية، تؤدي وظائف أساسية داخل البناء الاجتماعي الذي يمثله المجتمع.

أما الباحث "أحمد اسماعيل حجي" يرى أن "المدرسة ككل وحدة اجتماعية أو مجتمع ذو طابع خاص، إنها ليست فقط مكانا للتعلم، ولكنها وحدة اجتماعية يشترك جميع أفرادها من الكبار والصغار (المدرس والتلاميذ)، في حياة عامة يخضعون لنظام أو دستور ويكونون بأساليبهم المتعددة جماعة راضية متعاونة⁽³⁾، ومن هذا يجب أن: يشترك جميع الأطفال في وضع النظام بالمدرسة، ويشترك أكبر عدد من التلاميذ في تحمل المسؤولية، ويحتفظ المعلمون بسلطاتهم داخل حجرات الدراسة وخارجها، كما تعطى الفرصة للتلاميذ لممارسة الحكم الذاتي".

هنا أعطى الباحث "اسماعيل حجي" تعريفا نظاميا للمدرسة حيث يصفها بالوحدة الاجتماعية الخاصة، يتشارك فيها أفرادها بغض النظر عن أعمارهم وأدوارهم في حياة مشتركة بينهم مسيروا من قبل نظام يضمن تعاونهم وسير العملية التعليمية.

(1) - شبل بدران: التربية والمجتمع (رؤية نقدية في المفاهيم، القضايا، المشكلات)، دار المعرفة الجامعية، 2009، ص98.

(2) - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب: مرجع سبق ذكره، ص20.

(3) - أحمد اسماعيل حجي: إدارة بنية التعليم والتعلم (النظرية والممارسة في الفصل والمدرسة)، دار الفكر العربي، مصر، 2000، ص.ص(223-224).

كما أنه هناك من يعرفها كما يلي: "المدرسة هي المؤسسة التربوية المقصودة والهامة التي أنشأها المجتمع لتنفيذ أهداف النظام التعليمي"⁽¹⁾

وهناك تعريف آخر للمدرسة على أنها: "المؤسسة المتخصصة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم صغاره نيابة عن الكبار الذين منعتهم مشاغل الحياة وحالت دون تفرغهم للقيام بتربية صغارهم"⁽²⁾. نجد في هذا التعريف أن المدرسة قد حلت محل الأسرة-الأبوين أو الأقارب أو الكبار الذين انشغلوا بوظائفهم المعاشية عن تربية أبنائهم، لتحل محلهم مؤسسات من صنع المجتمع، ونجد لها أيضا تعريف آخر هو أنها "مؤسسة تربوية وجدت أساسا لتكمل دور المنزل بعد تطور الحياة وتراكم الخبرات الإنسانية، لذا فقد وجدت بالضرورة للقيام بوظائف تربوية لم يستطع المنزل استكمالها"⁽³⁾ وهذا التعريف يؤكد أن المدرسة لها علاقة تكامل مع المنزل، كما أن الضرورة هي وحدها التي أدت إلى ظهور المدرسة.

ويعرفها الباحث "عبد المنعم الميلوي" كما يلي: "المدرسة منظمة اجتماعية متخصصة في توجيه النشء والشباب وتنفرد ببيئاتها بيئة اجتماعية وتحمل المدرسة مسؤولية اختيار الخبرة الإنسانية للمتعلمين ونقل معناها ومحتواها ونتائجها إلى الصغار وبذلك تتميز المدرسة كأحد الوسائط الثقافية التي تؤثر على الفرد"⁽⁴⁾. هنا يصف الباحث المدرسة على أنها منظمة اجتماعية متخصصة في التنشئة.

- التعريف السوسيولوجي للمدرسة:

إن المدرسة هي تلك المؤسسة العمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق منهاج وبرنامج يحددان المجتمع حسب فلسفته، والمدرسة بشكل عام مؤسسة عمومية أو خاصة، تخضع لضوابط محددة، تهدف من خلالها إلى تنظيم فاعلية العنصر البشري، بحيث تنتج وتفعل وفق إطار منظم يضبط مهام كل فئة، ويجعلها تقوم بعملها الخاص لكي يصب في الإطار العام ويحقق الأهداف والغايات والمرامي المرغوبة منه.

(1) - حسين عبد الحميد رشوان: التربية والمجتمع (دراسة في علم اجتماع التربية)، المكتب العربي الحديث، مصر، 2002، ص 67.

(2) - منير مرسي سرحان: في اجتماعيات التربية، ط3، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، 1981، ص 195.

(3) - أبو طالب سعيد، رشاش عبد الخالق: عوامل التربية، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، 2001، ص 73.

(4) - عبد المنعم الميلوي: أصول التربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (مصر)، 2004، ص 109.

1-2- نشأة المدرسة ومراحل تطورها:

يرجع أصل لفظ المدرسة école إلى الأصل اليوناني schole والذي يقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم أو لتتقيف الذهن⁽¹⁾، فتطور هذا اللفظ بعد ذلك ليشير إلى التكوين الذي يعطى في شكل جماعي مؤسسي، أو إلى المكان الذي يتم فيه التعليم، ليصبح لفظ المدرسة يفيد حالياً تلك المؤسسة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الحسية والفكرية والأخلاقية للأطفال والمراهقين في شكل يطابق متطلبات المكان والزمان، أما مفهوم المدرسة بالتحديد فقد ظهر إثر الانتقال الذي عرفه الفعل التربوي من مهمة تتكلف بها الأسرة إلى مهمة عمومية وذلك في المرحلة الهيلينية⁽²⁾، وعند العودة للتراث الفكري حول التربية بصفة عامة، نجده يعالج المدرسة باعتبارها تنظيمًا اجتماعيًا لأي مجتمع- وهذا ما ظهر بصورة واضحة من خلال التعريفات السابقة- فوجود المجتمع واستمراره متوقف على نقل تراثه الاجتماعي والثقافي بين أجياله وغرس قيمه ومعاييره وتأكيد لها لدى أفرادها.

1-2-2-1 مراحل تطور المدارس عبر التاريخ:

مع ظهور المجتمعات وإقامة تنظيماتها تطلب الأمر ضرورة إيجاد تنظيم تعليمي ضمن أنظمتها يعد قادة هذه المجتمعات من الحكام ورجال السياسة والدين، لتحمل مسؤولياتهم في إدارة البلاد ورعاية المعتقدات الدينية، فنشأت المدرسة بمفهومها التقليدي تضم الطبقة الحاكمة ورجال الدين، يتلقون فيها فنون الصيد والحرب والفلسفة والقضاء وآداب السلوك الطقوس الدينية وغيرها، وذلك بإشراف أفراد من ذوي المهارة والحكمة⁽³⁾، ودام هذا التعليم حتى بداية العصر الحديث إلى أن ظهر مستوى آخر من التعليم هو تعليم العامة من الأبناء يتلقونه عن الآباء والأمهات في البيوت والمزارع أو لدى أصحاب الحرف، وتتم العملية التعليمية عن طريق الممارسة الفعلية وبتوجيه من الكبار، وكان لدور العبادة ومراكز الرعاية وخاصة في العصر الوسيط، دور كبير في تزويد العامة بالمعارف الدينية والتراث الثقافي للمجتمع.

ولقد كشف التحليل السوسيو تاريخي أن أول مدرسة نشأت في المجتمعات البشرية كانت مع ظهور الحضارات القديمة كالحضارة الصينية والهندية والفرعونية والبابلية، فالفراعة اهتموا بإنشاء

(1) - مقال لـ: امحمد عليوش: كيف تساهم كل من المدرسة والأسرة في تنشئة الأفراد وتنمية المجتمع؟، مجلة علوم التربية، العدد 28، المغرب، فبراير 2005.

(2) - لمزيد من الاطلاع: موقع WWW.TARBIA.NET بتاريخ: 2009/11/15 على الساعة: 21.00 سا.

(3) - عدلي سليمان: مرجع سابق، ص 07.

أول المدارس التي ظهرت في العالم، حيث أنشأوها في الكثير من مدنهم مثل: منف وهوليوبوليس وسائس، كما ازدهرت مدارس العلوم مثل مدرسة الإسكندرية، وإذا ما تصفحنا تاريخ التربية عند العرب قبل الإسلام وبعده نجده حافلا بأخبار مثل هذه المدارس الخاصة التي افتتحها بعض رجال العلم في الحوانيت، والمنازل، والدور، والقصور وغيرها، وهكذا كانت المدارس في بداية العصور اللاتينية واليونانية بشكل عام، وكذلك مدارس الشرق والغرب، ثم تطورت هذه المدارس الخاصة بعد ظهور الأديان، وصارت تتبع للطائفة أو لدين معين أو لعقيدة⁽¹⁾.

أما المسلمون فمذ بداية الإسلام اهتموا بإنشاء ما يعرف بالجوامع المدارس سنة بالرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وأنشأت العديد منها في كل من البصرة والكوفة وبلاد الشام والفسطاط والقيروان وقرطبة⁽²⁾، ولا يمكننا إغفال دور الجامع الأزهر الذي أنشئ في عهد الدولة الفاطمية عام 970م، كما اهتمت الدولة الأموية بإنشاء مدارس خاصة بنظام الملك التي ركزت على إعداد رجال الدولة، هذه المدارس كانت سببا في إنشاء جامعات عربية إسلامية فيما بعد، كالجامعة المستنصرية، التي تتلمذ على يدها الكثير من الأدباء والعلماء.

ويظهر شيبمان Shipman في كتابه "سوسيولوجيا المدرسة أن النظام المدرسي لم يظهر في أوروبا إلا خلال العصور الوسطى حيث سيطرت الكنيسة على التربية واقتصرت على أبناء الأغنياء⁽³⁾.

فالمدارس في أوروبا اقتصرت على الأغنياء وكانت مرتبطة بالكنيسة، والفقراء ليس لهم الحق في التعليم، فلم يقبل رجال الكنيسة التغير والتجديد، وكل من ينادي به يعدم أو ينفى، ومع ظهور الثورة الصناعية تحول المجتمع الغربي إلى رأسمالي، وتطلب النمو الحضري زيادة في الطلب على التعليم، واستطاع أبناء الطبقة الفلاحية (طبقة البولينتاريا) الالتحاق بالمدارس سعيا للانتقال للحياة الحضرية، واتسع بذلك نظام التعليم مع البدايات الأولى للقرن العشرين.

يمكننا القول كخلاصة أن دور المدارس خلال العصور القديمة والوسطى ارتبط بطبيعة اهتمام النظام السياسي، الذي مثله الرجال الذين يملكون سلطة رجال دين كانوا أو رجال سياسة، واقتصرت

(1) - إبراهيم ناصر: علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، 1996، ص.ص (77-78).

(2) - طارق السيد: علم الاجتماع المدرسي، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، 2007، ص.16.

(3) - عبد الله محمد عبد الرحمن: علم اجتماع المدرسة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة (الإسكندرية)، 2001،

التعليم على طبقة الأغنياء ليكونوا قادة سياسيين في المجتمع الأوروبي المسيحي، ولكن مع ظهور التصنيع وظهر المجتمع الصناعي الحديث، تغير النظام المدرسي ليكون وسيلة أساسية للحياة الحضرية الحديثة، والذي تطلب تخصصات علمية كفاءات عالية، الأمر الذي جعل الدور التربوي للمدرسة يرتفع ويرتقي، ومع بداية القرن 21 ظهرت العديد من السياسات القومية التي اهتمت بضرورة تغير البرامج المدرسية والإصلاح التربوي، نظرا للتغير الاجتماعي والثقافي المصاحب للتقدم التكنولوجي والتراكم المعرفي. ويمكن تلخيص المراحل التي مرت بها المدرسة في ثلاث مراحل هي:

1-2-1- العائلة (الأسرة) كمدرسة :

في المجتمع البدائي أصبحت الأسرة - وهذا مع اختفاء المدرسة - هي الوسط الاجتماعي الوحيد للتربية، حيث قامت بتدريب الطفل على كيفية الحصول على العيش والإبداع الناضج في الحياة، وظهرت بوادر تقسيم العمل في المجتمع البدائي بين الرجل والمرأة، حيث اختص الرجل بتعليم أولاده حرفة الصيد أو الزراعة أو الرعي ومهام الحروب للدفاع عن النفس والأسرة والقبيلة معا، بينما تقوم المرأة بتعليم بناتها إعداد الطعام والبحث عن المأوى والغذاء وأعمال البيت وعملية التعليم، هنا قامت التربية على المحاكاة والتقليد⁽¹⁾.

ففي القديم تولت العشائر الأسرية والقبائل وظيفة إعداد الفرد وتنشئته، ومع تعقد الحياة الاجتماعية وتراكم التراث الثقافي والاجتماعي ثقل كاهل هذه العشائر والأسر فيما بعد وأصبحت غير قادرة على تحقيق مطالب المجتمع من أفرادها⁽²⁾، فلقد كانت المجتمعات البدائية تعيش حياة بسيطة لا تعقد فيها، محدودة التراث والتنشئة الاجتماعية للصغار كانت قائمة على التقليد ومحاكاة الكبار، إضافة إلى ما يعلمه الكبار لهم من التميز بين الخير والشر، النافع والضار وطرق الصيد والزراعة، والقتال أحيانا للحفاظ على الحياة، خاصة من الأبوان، "فلقد كان الطفل في هذه المجتمعات يتعلم عن طريق اشتراكه الفعلي في المناشط المختلفة اشتراكا مباشرا، والكبار في هذه المجتمعات لم يقيموا الأهداف ويحددوا الوسائل لتربية وتعليم الناشئين"⁽³⁾، ولكن مع تعقد الحياة وازدياد السكان وندرة الموارد، وتراكم المعرفة، عجز الأولياء عن توفير تنشئة قادرة على تربية الأبناء وتعليمهم كيفية العيش في

(1) - شبل بدران: مرجع سبق ذكره، ص101.

(2) - السيد علي شتا، فادية الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الاسكندرية، 1997، ص.ص(143-144).

(3) - السيد سلامة الخميسي: التربية والمجتمع والمعلم (قراءة اجتماعية ثقافية)، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000، ص217.

مجتمع تعقدت فيه الحياة وظهرت المعارف والاختراعات والتكنولوجيا والعلوم، "هنا بحث الإنسان الحديث عن الحل البديل والذي كان في بادئ الأمر من طرف رجال الدين، وأنشأوا المدارس وكان تطورها انتقالا من الاهتمام بالأمور التجريبية إلى الأمور الواقعية الملموسة أيضا⁽¹⁾، فالتعليم يتم بصورة غير مقصودة، فلا الأبوان كانا يعيان بأنهما يقومان بدور المعلم ولا الأولاد كانوا يعون بأنهم يمارسون دور التلاميذ، وبالإضافة إلى ذلك كان الأولاد يتعلمون الشيء الكثير من خلال البيئة واللعب، وعلى ذلك كانت عملية التربية تأخذ مجراها عرضا دون أن يتعمدها أحد، ومن دون أن يشعر بوجودها أحد"⁽²⁾، هنا عملية التعليم كانت تتم بالفطرة دون استعداد أو خطة تتبع.

1-2-2- القبيلة كمدرسة:

كانت القبيلة المدرسة الثانية للأطفال المكملة لدور العائلة أو الأسرة في المجتمعات البدائية، فقد كان الطفل يتعلم أيضا من خلال محاكاته وتقليده لمن هم أكبر منه سنا في القبيلة كشيخها أو كاهنها، كما لم تكن المدرسة البيئية كافية لإعداد الطفل من الناحية الروحية، فاستعان الآباء بخبراء القبيلة أو عرفائها لهذا الغرض، وكان العرافون يفسرون ويعللون للأطفال الظواهر الروحية والطبيعية بصورة تغلب عليها السذاجة، وعلى نحو خرافي أسطوري، فأفراد القبيلة "كانوا يؤمنون بالأرواح والقوى المستترة، وأن لكل جسم نفسا أو قرينا، وقد توصل الإنسان البدائي إلى ذلك عن طريق رؤية ظله في الأيام المشمسة والمقمرة، ورؤية خياله في الماء وأحلامه، وعلى أساس هذه العقائد الخرافية، كان الإنسان البدائي يبني سلوكه اليومي"⁽³⁾.

1-2-3- المدرسة الفعلية (الحقيقية) وعوامل ظهورها:

كان لغزارة التراث الثقافي المتمثل في زيادة المعلومات والمعارف وتراكمها، وتعقد هذا التراث المتمثل في تنوع معارفه وتشعبها وتشابكها وصعوبة نقلها من جيل إلى جيل، واستنباط اللغة المكتوبة، وظهور التراث الثقافي المكتوب الذي ألزم الناشئة ضرورة تعلم اللغة للإطلاع على هذا التراث وفهمه واستيعابه، هذه العوامل جميعها كان لها الدور البارز في ظهور المدرسة بمفهومها الحقيقي، ففي اليونان أنشأوا المدارس لشغل وقت فراغ أطفالهم بعد قيامهم باللعب والأكل والنوم، كعمل يقوم به

(1) - صلاح الدين شروخ: علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2004، عنابة(الجزائر)، ص72.

(2) - جورج شهلا وآخرون: الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، ط4، دار العلم للملايين، لبنان، 1978، ص298.

(3) - عبد الله الرشدان: علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص125.

الصغار مقابل عمل الكبار، وتطور ذلك إلى أن صارت المدرسة الخاصة التي تولى رآستها أحد أفراد المنازل أو دور العبادة (...).، ثم كانت المدارس الدينية"، أما المدارس العامة، فالدولة هي التي تتولى الإنفاق عليها وتتولى أمورها، وفي وقتنا الحالي تعددت أشكال المدارس العامة لأعداد لا تكاد تحصى.

1-3-2-1 - عوامل نشأة المدارس:

1- اتساع دائرة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية من المجتمع وتزايد متطلبات هذه الأنشطة من المهارات والقرارات.

2- اختلاف نمط المجتمعات عن النمط التقليدي للأسرة والعشائر، فالمجتمعات المعاصرة مغايرة تماما لظروف الحياة في الروابط التقليدية، مما جعل الحاجة تتزايد لنشأة المؤسسات التربوية لتقوم بمهمة التنشئة الاجتماعية الحديثة.

3- تعقد التراث الثقافي للمجتمعات البشرية الحديثة، وتنوع عناصره من مكتشفات ومخترعات.

4- تزايد توقعات المجتمع من الأعضاء سلوكيا.

5- زيادة الاتصال والاحتكاك بين المجتمعات، مما خلف آثار وتأثيرات على ثقافة المجتمع واستقراره وولد الحاجة لترسيخ ثقافة المجتمع في مقابل ثقافات أخرى دخيلة عنه.

6- التقدم التكنولوجي والصناعي وارتفاع مستوى التقنية المعاصرة، واتساع دائرة التخصص، هذا ما عزز دور المدرسة الحديثة⁽¹⁾.

7- اكتشاف الكتابة: اللغة قديمة قد الجنس البشري، وهي وسيلة للاتصال بين البشر، للتعبير عن الأفكار وتبادل الآراء والاتجاهات، ولكن مع اكتشاف الكتابة التي جعلت اللغة مكتوبة سهل تعليمها للأجيال، جعل إنشاء المدارس ضرورة اجتماعية.

أما اليوم فقد زادت مسؤوليات المدرسة وتزايدت وظائفها وأصبحت ضرورة للمجتمعات، ولا غنى عنها لمواجهة مشكلات الإنسان وتعقد ظروف الحياة، وتنوع التخصصات وطلب أيادي ماهرة ومخصصة، تطلب تطورا في المدارس والمناهج والنظم.

1-3-3 - مراحل تطور دراسة المدرسة:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين نمواً متزايداً للأبحاث والدراسات الاجتماعية التي تتناول المدرسة بالدراسة والتحليل، وتمخضت هذه الأبحاث عن ميلاد علم الاجتماع المدرسي، الذي

(1) - السيد علي شتا، فادية الجولاني: مرجع سبق ذكره، ص 150.

يكرس نفسه لدراسة المدرسة وتفصي أبعادها كظاهرة اجتماعية تربوية، ولم تكن الأبحاث الجارية، في ميدان المسألة المدرسية، وليدة الصدفة العابرة، أو الترف العلمي، بل كانت استجابة موضوعية ملحة اقتضتها التطورات الاجتماعية، التي انعكست على بنية المدرسة ووظائفها، وعلاقتها مع الوسط الاجتماعي، وفي إطار هذه التطورات الجارية بدأت المدرسة تطرح نفسها كإشكالية اجتماعية بالغة الأهمية والتعقيد .

2- أشكال المدرسة ومقوماتها:

1-2 - أشكال المدرسة:

يمكننا التمييز بين شكلين من المدارس الحديثة هما:

أ- المدارس العامة أو الحكومية :

وتتولى الحكومات عادة أمر تأسيسها وتمويلها وإدارتها، في محاولة منها لتدعيم تكافؤ الفرص التعليمية لأبناء الشعب ن لهذا يكون التعليم في هذه المدارس مجانياً.

ب- المدارس الخاصة :

يؤسسها ويمولها ويديرها عادة أفراد أو هيئات خاصة، وتلعب هذه المدارس دوراً تكاملياً مع المدارس العامة أو الحكومية.

وهناك تصنيف آخر جاء في موسوعة ويكيديا الإلكترونية وهو كالتالي:

1- مدرسة إسلامية. 2- مدرسة خاصة. 3- مدرسة حكومية. 4- مدرسة تجريبية: حيث يتم تجريب نظم دراسية جديدة، وإذا أثبتت نجاحها يمكن تعميم هذه النظم على المدارس الأخرى⁽¹⁾.

2-2- مقومات المدرسة:

لكي تنجح المدرسة كمؤسسة تعليمية في تحقيق وظيفتها الاجتماعية والتربوية لابد أن تركز العملية التعليمية على مجموعة من الأسس والمقومات، ويمكن الإشارة إليها عبر النقاط التالية:

1- الأهداف التعليمية:

ويقصد بها الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها علماً بأن لكل مرحلة تعليمية أو نوع من التعليم أهدافه التي تتفق مع احتياجات المجتمع من جهة وإلى قدرات المتعلم من جهة أخرى.

(1) - لمزيد من الاطلاع: من موقع www.wikidia.com بتاريخ: 2010/20/20 على الساعة 22.00 سا.

2- احتياجات المتعلم:

ويقصد بها مجموعة المعارف والمعلومات والمهارات التي يحتاج المتعلم إلى اكتسابها كي يصل إلى المستوى التعليمي الذي تتطلبه حاجات المرحلة التعليمية التي يجتازها، وتنقسم إلى:

أ- مجموعة المعارف والمعلومات والمهارات التي يحتاج المتعلم إلى اكتسابها كي يصل إلى المستوى التعليمي الذي تتطلبه احتياجات المرحلة التعليمية التي يجتازها.

ب- من مجموعة البرامج من أنشطة وخدمات صحية وغذائية وترفيهية ونفسية واجتماعية.

3- المعلم:

وهو المتخصص في إيصال المعلومات والمعارف والخبرات التعليمية للمتعلم وذلك باستخدام وسائل وأساليب فنية تحقق الاتصال، ويتفق المتخصصون في التربية أن أهم العوامل المدرسية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطفل هي شخصية المدرس؛ فهو مصدر السلطة التي يجب طاعتها والمثل الأعلى الذي يتمثل به الطفل ومصدر المعرفة، لذا لا بد أن يكون المدرس متسلحاً بالتكوين المعرفي والفضائل الأخلاقية والاجتماعية لأن لها تأثير كبير في بناء الطفل اجتماعياً ونفسياً.

4- الإمكانيات المادية:

هي الوسائل اللازمة لقيام العملية التعليمية من مبنى وكتاب ووسائل معينة كالمختبرات، المكاتب وحجرات دراسية، الملاعب وغيرها.

لذلك لا بد أن يتطور مفهوم التعليم من مجرد الدرس والتحصيل للحصول على شهادة إلى اعتبار التعليم محوره الإنسان، كونه عضواً في مجتمع يجب الاهتمام به من خلال مراحل تعليمية في الجوانب النفسية والاجتماعية والخلقية والجسمية والعقلية حتى يتحقق تكامل متزن بين هذه الجوانب، كما يجب أن يتوجه التعليم لتحقيق المبادئ الديمقراطية حتى يسبغ عليه الصفة الإنسانية ويصبح التعليم حق لكل فرد بغض النظر عن مستواه الاجتماعي والاقتصادي، أما إذا اتسم التعليم بتقليدية التدريس وعدم كفاءة المعلمين وعدم كفاية الخدمات التعليمية الأخرى وتقليدية المناهج وسطحية محتواها، تجعل هذه المعارف غير قابلة للاستثمار الوظيفي وبذلك تفقد كل مقومات التعليم القائم على التحليل والاستنتاج والنقد والتفسير والتساؤل، لتصبح المعلومات مفصولة عن الحياة وقضاياها ولا تعطي

المجال أمام المشاركة في بناء المعرفة⁽¹⁾، وفي العالم العربي حدثت إنجازات لا يمكن نكرانها في ميدان التعليم منذ منتصف القرن الماضي، إلا أن التعليم في معظم الأقطار العربية لا يزال تقليدياً مقارنة بباقي دول العالم المتقدمة.

2-3- بنىة المدرسة :

يشكل الاتجاه البنيوي الوظيفي أحد أبرز التيارات السوسولوجية التي تبحث في بنىة المدرسة وفي وظيفتها، ويعد كل من "راد كليف براون ومالينوفسكي"، من رواد هذا الاتجاه السوسولوجي الحديث، الذي ظهر في العقد الأول من القرن العشرين، ويتزعم هذا الاتجاه حالياً كل من "تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون"، وفي مجال تحديده للنظام يميز بارسونز عموماً بين أربعة مجموعات مكونة للنظام وهي الأدوار التي تتمثل في النشاطات التي يقوم بها الأفراد، ويلى ذلك منظومة المعايير التي تسود داخل النظام، ثم الجماعات كجماعات الصفوف والعائلات والأفراد، وأخيراً منظومة القيم التي تسود داخل النظام وتوجه مسار حركته .

ويجري اليوم توظيف المنهج البنيوي الوظيفي في دراسة بنىة النظام المدرسي وتحديد مكوناته ونسق فعالياته الداخلية والمجتمعية، ومن الدراسات الهامة التي اعتمدت على هذا المنهج يمكن الإشارة إلى دراسة "كوردون" وأعمال "كولمان" في الولايات المتحدة، حيث ركز هذان الباحثان على تحليل بنىة النظام المدرسي ونسق العلاقات التي تقوم بين جوانب هذا النظام وفقاً للاتجاه البنيوي الوظيفي، وتسعى الدراسات البنىة الوظيفية الجارية في ميدان المؤسسة المدرسية اليوم إلى تحديد العناصر المكونة للنظام المدرسي، كما تسعى إلى تحديد نظام التفاعلات القائمة في داخلها من أجل تحديد الملامح الأساسية لدورها ووظيفتها الاجتماعية، وقد استطاعت هذه الدراسات أن تحدد الأطر البنىوية الأساسية للمؤسسة المدرسية على النحو التالي⁽²⁾ :

- 1- جماعات التلاميذ . 2- جماعات المعلمين . 3- الإداريون . 4- الجماعات الاتصالية (مجالس المعلمين ومجالس الأولياء) . 5- منظومة المناهج والمقررات التربوية . 6- جماعة الخدمة .
- 7- جماعات الموظفين . 8- القيم والأعراف السائدة . 9- الأهداف التربوية.

(1) - لمزيد من التفصيل من موقع:

<http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag20/www/MG-020.htm> بتاريخ: 2010/02/18

على الساعة 08.00 سا.

(2) - عبد الله الرشيدان: مرجع سبق ذكره، ص 160.

يعد التفاعل التربوي الذي يجري بين أفراد الجماعة المدرسة، صورة حية للتفاعل الاجتماعي الذي يجري في إطار الحياة الاجتماعية، ويتجلى التفاعل الاجتماعي القائم في العمليات التي يرتبط من خلالها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ودافعيا على مستوى الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف، وعلى هذا النحو يعرف التفاعل التربوي على أنه "سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين كائنين إنسانيين أو أكثر، "فالعلاقة التربوية هي نمط معياري للسلوك الذي يحقق التواصل التربوي بين التلاميذ والمعلمين والمقررات والإدارة والمعايير والقيم بوصفها عوامل مكونة للنظام المدرسي"⁽¹⁾.

3- أدوار ووظائف المدرسة:

إن المدرسة تمارس وظائف اجتماعية وتربوية متعددة، وتتباين هذه الوظائف بتباين المجتمعات وتباين المراحل التاريخية المختلفة، ويمكن لنا في هذا السياق أن نميز عدداً من المحاور الأساسية لوظائفها المجتمعية، وقبل التطرق لوظائف المدرسة التقليدية والحديثة نتعرض إلى الدور التربوي للمدرسة ثم مختلف وظائفها في الحياة الاجتماعية.

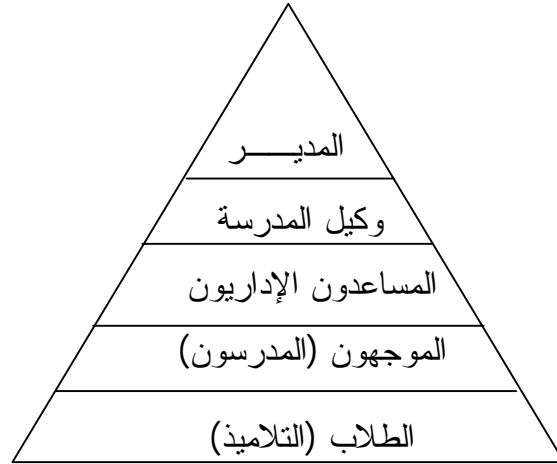
3-1- الدور التربوي للمدرسة:

إن المدرسة هي مؤسسة تربوية فرعية بالنسبة للنظام التربوي العام للمجتمع، وهي مؤسسة اجتماعية تعكس المجتمع بصورة مصغرة، كما أنها توفر الوسائل والظروف الكفيلة بتربية النشء بما يجعلهم قادرين على المشاركة الفعالة في المجتمع، "وتقوم المدرسة بعملية التطبيعي الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية، فهي العملية التي يتم بواسطتها إكساب الفرد القيم والاتجاهات المعاصرة كشخصية فردية"⁽²⁾، يتخلل الدور التربوي للمدرسة أدوار ثانوية ومتكاملة للأعضاء المكونين للمدرسة من مدير ووكيل للمدرسة، ومساعدين ومدرسين وتلاميذ، وسنحاول شرح دور كل عضو في العملية التربوية، والشكل التالي يوضح بناء الأدوار وتوزيعها في المدرسة:

(1) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص 156

(2) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره، ص 68.

شكل رقم 04: يوضح بناء الأدوار وتوزيعها في المدرسة.



المصدر: طارق السيد، أساسيات في علم الاجتماع المدرسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (مصر)، ص.177.

1- دور المدير:

إن المدير كقائد تربوي في مؤسسته يؤثر في كافة العاملين، ويلهب فيهم المشاركة الكفؤة وتحمل المسؤولية في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة ويجني معهم النجاحات المأمولة القابلة للتحقيق، ويتربع مدير المدرسة على قمة بناء الدور في المدرسة باعتباره رئيساً للمدرسة وتتضمن واجباته ما يلي (1):

- الإدارة العامة للمؤسسة.
- الإشراف على برامجها التعليمية.
- يعنى بأمر التلاميذ والمدرسين.
- يتولى مهام تنسيق علاقات المدرسة الرسمية مع الإدارة والمديريات التعليمية في المجتمع.
- إقامة جسور من علاقات التعاون غير الرسمية مع أولياء أمور الطلبة.

يجلس مدير المدرسة على قمة الهرم الذي يشكل البنية الهيكلية للمدرسة، ومن مهامه الأساسية إدارة المؤسسة وبرامجها الدراسية، ويساعده في ذلك الهيئة الإدارية المساعدة (2)، وهو يتكامل مع المعلمين والطلاب داخل المدرسة ومع أعضاء المجتمع الخارجي مثل أولياء أمور الطلاب والمجموعات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة.

(1) - علي شتا، فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مرجع سبق ذكره، ص187.

(2) - مقال لـ: اسماعيل صالح الفراء: علم الاجتماع التربوي، المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد، جامعة القدس المفتوحة، العدد الأول، المجلد الأول، فلسطين، كانون الثاني 2007، ص165.

ويترتب على المدير انجاح المدرسة أو فشلها في تحقيق الأهداف المرسومة لها كمؤسسة تعليمية، وعليه فلا بد من إعدادهِ وتدريبهِ تقنياً وأكاديمياً، لما يؤهله القيام بواجباته ومسؤولياته على أحسن وجه، وقد أظهرت دراسة ساران بوكوك في كتابه **المقدمة في علم الاجتماع التربوي** "بأن هناك علاقة بين تصرفات مدير المدرسة ومعنويات المعلمين فيها وأنه كلما كانت العلاقة جيدة وواضحة ساعد ذلك في رفع معنويات المعلمين وزيادة حماسهم وهذا بدوره يؤثر بطريقة مباشرة على مستوى أداء الطلاب وإنتاجهم العلمي.

2- دور وكيل المدرسة:

تشبه مهامه مهام مدير المدرسة فهو يقوم بـ:

- تهيئة البيئة والظروف المناسبة التي تساعد في تحقيق رعاية الطلاب.
- تيسير الإمكانيات والوسائل المعنية في تطبيق برامج وخدمات التوجيه والإرشاد داخل المدرسة.
- تهيئة الظروف لعمل المرشد الطلابي ومساعدته في حل المشكلات التي تواجهه.
- تبصير المعلمين بدور المرشد الطلابي داخل المدرسة.
- متابعة تطبيق خطة التوجيه والإرشاد ميدانياً بالمدرسة.
- المشاركة المباشرة في بعض الخدمات الإرشادية.
- حث المعلمين على أهمية رعاية التلاميذ من خلال التعامل مع المواقف المختلفة والمشكلات اليومية للتلاميذ⁽¹⁾.

3- دور المساعدين الإداريين:

إذا كان المتعلم هو المحور الأساسي في العملية التعليمية /التعلمية، وفي كل عملية تشييطية فهو المستهدف بالتكوين تكوينا سليما وصحيحا قصد تهذيبه وجدانيا وتنميته معرفيا وتحفيزه حركيا، والعمل على رعايته وتنشئته تنشئة إسلامية قائمة على المواطنة والحفاظ على الهوية والانفتاح على الإنسانية وثقافة الآخر، فإن الإدارة المدرسية تكمن أهميتها في التأطير والتنظيم والتنشيط التربوي، والعمل على تقوية التواصل بين مختلف المتدخلين في الحياة المدرسية، ونجاحها يتوقف على مدى مساهمتها في تفعيل المنظومة التربوية، واقتراح مشاريع تربوية أو مادية، مدعومة من قبل هيئة التدريس، خاصة أعضاء مجلس التدبير.

(1) - رائدة خليل سالم: **المدرسة والمجتمع**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2006، ص.ص(180-181).

4- دور المدرس (الموجه):

لقد حدد العلامة "ابن خلدون" شروط المعلم المثالي في النقاط التالية:

1- الإحاطة بالموضوع (فالتعليم صناعة نجاحها وفشلها مرتبطان بالفاعلين بها، وإن المعلمين هم سندها).

2- قيام الجدل والحوار بين المعلم والمتعلم.

3- اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد.

وقد قال العلامة "ابن خلدون"⁽¹⁾ في هذا الصدد: "اختيار ما يفي بالغرض ويحقق الهدف ويكون ذلك بأن يقتصر المعلمون للمتعلمين على المسائل الأساسية فقط دون الدخول في الشروحات المتنافرة والمتفارقة".

"إن المعلم هو حجر الأساس في العملية التعليمية، إنه كما قلنا ليس مجرد مدرس إنه مدير للعملية التعليمية ومسير للتعلم، ومن هنا يجب أن نعرف أن التعليم مهنة لا ينبغي أن يمارسها إلا من أعد لها علميا تخصصا ومهنيا سليما، شأنه في ذلك شأن المهن الأخرى: الطب والهندسة والمحاماة.."⁽²⁾.

يعتبر تدخل المدرسين في تفعيل الحياة المدرسية وتنشيطها فعلا رئيسيا وفق وظائف المدرسة الجديدة التي لا تقتصر فيها وظيفة المدرسين على حشو أذهان المتدربين بالمعلومات الجاهزة، وإنما تتعداها إلى التكوين والتأطير والتربية على المواطنة وحقوق الإنسان وغيرها من القيم الإنسانية النبيلة، ولهذا ينبغي أن تكون هيئة التدريس هيئة متدخلة رئيسية في الحياة المدرسية قدوة ونموذجاً، ومن واجبها الانخراط في مشاريع المؤسسة، وفي التنشيط المدرسي في جميع المجالات داخل الفصل أو خارجه، وذلك بتبني الطرائق البيداغوجية والديداكتيكية الملائمة التي تستجيب للحاجيات النفسية

(1) - موسوعة الفكر التربوي العربي الاسلامي، قطاع الفلاسفة: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، تحليل وتحقيق: عبد الأمين شمس الدين وعبد الحميد فايد، الشركة العالمية للكتاب، بيروت (لبنان)، 1991، ص78.

(2) - أحمد اسماعيل حجي: إدارة بيئة التعليم والتعلم (النظرية والممارسة في الفصل والمدرسة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص32.

والعاطفية للمتمدرسين وتنظيم الأنشطة المندمجة والداعمة وتكوين أندية منفتحة على المجتمع المحلي والجهوي والوطني لاستقطاب الفعاليات في مجال الفكر والإبداع⁽¹⁾.

ينظر علم الاجتماع التربوي إلى المدرس باعتباره قائدا للجماعة، وهو الشخصية المركزية في حجرة الدرس، وعلى قدر سيطرته على الموقف على قدر استجابة التلاميذ له، وليتحقق التعليم الحقيقي لابد من وجود تفاعل صفي وقيمي بين المدرس وتلاميذه، تحت معايير الالتزام والانضباط.

ويتشكل دور المدرس في الإطار التنظيمي للمدرسة على نحو معقد، فهو عضو في هيئة التدريس ومردوس لإدارة المدرسة، وهي بالنسبة للتلاميذ يؤدي قائمة من الوظائف؛ فهو ناقل للمعرفة وموجه وحكم وبديل لمكانة الأب، ولا يمكننا تجاهل أن دور المدرس متغير فبجانب أدائه للوظيفة التربوية فهو يقوم بأدوار أخرى فيمكن أن يكون زوجا، أباً أو أما، ممثلاً أو شاعراً، فكل هذه الأدوار يمكن أن يقوم بها شخص واحد وهو المدرس.

وقد حدد الباحث "ويلسون" وظائف المدرس المرتبطة بدوره بصورة تشتمل على:

- نقل المعرفة للتلميذ.

- اختبار التلاميذ للأدوار الاجتماعية والمهنية التي يشغلونها في المستقبل.

- تنمية شخصية التلميذ.

- الرعاية الاجتماعية للتلميذ، ورعاية صحته الذهنية⁽²⁾.

5- دور التلميذ (الطالب):

ويقول العلامة "ابن خلدون" في "شروط المتعلم (طالب العلم) ما يلي:

- تلقي العلم مباشرة من أصحابه.

- عدم الغوص بعيدا أو الإمعان في التجريد والتعميم، لكي لا تكثر الأخطاء بسبب الإمعان في الغوص في المعاني وتجريدها من محسوساتها وإطلاق أحكام بشكل قوانين عامة⁽³⁾.

فـ"ابن خلدون" في فكره التربوي حرص على توضيح دور طالب العلم وشروط تعلمه ولخصها "ابن الأزرقي" نقلا عنه، وحددها في تلقي العلم من أصحابه مباشرة لا بالتداول، التدقيق

(1) - محمد مكسي: بيداكتيك الكفايات، دار الثقافة، الدار البيضاء(المغرب)، 2003، ص97.

(2) - فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997، ص112.

(3) - موسوعة الفكر التربوي العربي الاسلامي، قطاع الفلاسفة: مرجع سابق، ص73.

والتخصيص والإمعان دون أن تفقد المعرفة معناها، ولقد ركز ابن خلدون على قيمة التفكير والتحقق، وحث طالب العلم على التفكير والتأمل والتيقن والمباشرة قبل إطلاق الأحكام إلا الشرعية منها فمصدرها واضح ولا جدال فيه.

"وينظر دوركايم للتلميذ باعتباره صفحة بيضاء، تنتظر أن يملأها المجتمع، وذلك لأن الطفل في نظره يأتي للحياة بطبيعته الفردية فقط، ومن ثم يتولاه المجتمع، فيقدم له الأنا الاجتماعي والنسق الأخلاقي في الحياة الاجتماعية، إذا فعلية التنشئة الاجتماعية تجعل التلميذ يقبل القيم الاجتماعية العامة على أساس فهمها"⁽¹⁾.

إن المتمدرس هو المحور الأساس والمستهدف من كل عملية تربوية أو تنظيمية أو تشيئية تشهدها الحياة المدرسية، ويجب أن يشارك مشاركة فعالة في مختلف هذه الأنشطة الصفية أو الموازية فالمتمدرس في التعليم الثانوي مثلا يمر بمرحلة هامة في حياته فهو يحتاج إلى من يهتم به من الناحية السيكولوجية للتعرف على أحواله النفسية ومساعدته ليتمكن من تجنب بعض الانحرافات السلوكية التي تحد من فعاليته في الحياة المدرسية، فيجب أن نعدده للمستقبل مستثمرين قدراته في الإنتاج النافع عن طريق انخراطه في مجالس المؤسسة وأنديتها الثقافية والتربوية حسب رغباته وميوله ساعين دائما إلى زيادة قدراته "على العمل في شروط ميسرة لا معسرة"⁽²⁾.

إن دور التلميذ في المدرسة هو التعلم، فإلى جانب تعلم المعارف والعلوم الأساسية كالقراءة والكتابة والحساب، يتعلم التلميذ أيضا الأخلاق والتهديب، فقد أكد الباحث التربوي "هاري" أن المظهر الأساسي لدور التلميذ هو الطاعة الكاملة⁽³⁾، فالتلميذ عليه أن يتعود على النظام البيروقراطي، خاصة الانضباط واحترام المسؤولين في المدرسة باعتبارهم أعلى منه سنا وعلما ومرتبة.

فالمدرسة تعد أب وزوج المستقبل، وأم وزوجة الغد ليكون كل طرف منهما ملما بمهامه المستقبلية، ليشغلا مراكزهما في مجتمعهما من أجل مستقبل أفضل لهما، إلا أن الطالب في الجامعة مطالب بأكثر من هذا فهو يعتبر الدراسة عملا له، والتعليم عنده مستمر، فهو يتعلم أفكارا جديدة كل يوما تقريبا ويناقشها ويحللها على أساس علمي بعيد عن الذاتية.

(1) - توفيق زروقي: النظام التربوي في الجزائر (محاكاة نقدية لواقع التوجيه المدرسي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 205.

(2) - محمد مكسي: مرجع سابق، ص 98.

(3) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره، ص 79.

3-2- وظائف المدرسة في الحياة الاجتماعية:

يرى "جويل روسني" أن وظيفة المدرسة لا تقف عند حدود نقل المعارف الموجودة في بطون الكتب فحسب، وإنما في عملية دمج هذه المعارف في أوساط المعنيين بها، وينظر "جون ديوي" إلى المدرسة بأنها مؤسسة اجتماعية تعمل على تبسيط الحياة الاجتماعية واختزالها في صورة أولية بسيطة وفي مكان آخر يقول "ديوي"؛ "أن المدرسة هي قبل كل شيء مؤسسة أوجدتها المجتمع لإنجاز عمل خاص، هو الحفاظ على الحياة الاجتماعية وتحسينها، وتكمن وظيفة المدرسة كما يرى كلوس في تحويل مجموعة من القيم الجاهزة والمتفق عليها اجتماعياً، وقد مارست المدرسة هذا الدور في العصور الوسطية كما هو الحال في القرن التاسع عشر"⁽¹⁾، فالمدرسة تمارس وظائف اجتماعية وتربوية متعددة تختلف هذه الوظائف باختلاف المجتمعات واختلاف المراحل التاريخية المختلفة.

1- الوظيفة السياسية للمدرسة :

يرسم كل مجتمع السياسية التي يرتضيها لنفسه، والتي تحقق له غاياته وأهدافه في مختلف مجالات الحياة وميادينها، والسياسة هي أداة المجتمع في توجيه الطاقات والفعاليات المجتمعية نحو أهداف منشودة ومحددة، وهي بالتالي معنية بتحقيق التوازن بين جوانب الحياة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة، وتقوم بين مؤسسة المدرسة والمؤسسة السياسية، علاقات جدلية عميقة وجوهرية، فالمؤسسة السياسية معنية بتحديد أهداف التربية وغاياتها وتحديد استراتيجيات العمل المدرسي ومناهجه، لتحقيق أغراض سياسية اجتماعية قريبة أو بعيدة المدى، وغالباً ما ينظر إلى المدرسة بوصفها حلقة وسيطة بين العائلة والدولة لتحقيق الغايات الاجتماعية التي حددها المجتمع لنفسه⁽²⁾.

ومن أهم الأدوار السياسية التي تلعبها المدرسة هي:⁽³⁾

- 1- التأكيد على الوحدة القومية للمجتمع .
- 2- ضمان الوحدة السياسية .
- 3- تكريس الايدولوجيا السائدة .
- 4- المحافظة على بنية المجتمع الطبقية .
- 5- تحقيق الوحدة الثقافية والفكرية .

(1) - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب: مرجع سبق ذكره، ص33.

(2) - نفس المرجع، ص34.

(3) - طارق السيد: مرجع سابق، ص.ص(35-36).

ومع بداية القرن الحالي بدأت الكثير من السياسات في الظهور من أجل تغير الوظيفة الأساسية للمدرسة في المجتمع، ونادى الكثير من التربويين وعلماء الاجتماع المتخصصين في التربية أمثال "جون ديوي" وغيره، يدعون إلى ضرورة الاهتمام بالدور الأساسي للمدرسة في المجتمع.

2- الوظيفة الاقتصادية:

يكمّن العامل الاقتصادي في أصل نشوء المدرسة، وخاصة في مرحلة الثورة الصناعية الأولى التي تطلبت وجود يد عاملة ماهرة قادرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة، وكان على المدرسة في هذه المرحلة أن تلبّي حاجات الصناعة النامية من اليد العاملة المؤهلة، وما تزال المدرسة تسعى إلى تلبية احتياجات التكنولوجيا الحديثة من فنيين، وخبراء، وعلماء، وأيد عاملة، ثم بدأت المدرسة ترتبط تدريجياً وعلى نحو عميق مع المؤسسات الاقتصادية الإنتاجية، وتجسد ذلك في المدارس الفنية والمهنية، التي تتصل بشكل مباشر بعجلة الإنتاج الصناعي المتطور⁽¹⁾، كما أن المدرسة تلعب دوراً هاماً في زيادة الدخل القومي، وتحقيق النمو الاقتصادي في البلدان المتطورة النامية على حد سواء، وفي هذا الصدد تشير دراسة "دونيزون" التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1962، أن 23% من نسب النمو الاقتصادي، في الولايات المتحدة الأمريكية، يعود إلى تطور التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد كان للاقتصادي الإنكليزي "آدم سميث" فضل السبق على معاصريه في الإشارة إلى أهمية رأس المال البشري ودوره في الدخل الاقتصادي القومي، والذي سبق له القول أن الرجل المؤهل علمياً يمكن أن يقارن بإحدى الآلات المتطورة والحديثة والمكلفة في مجال الإنتاج والتوظيف والاستثمار.

3- الوظيفة الثقافية للمدرسة :

تعد الوظيفة الثقافية من أهم الوظائف التي تتولاها المؤسسات المدرسية، فالمدرسة تسعى إلى تحقيق التواصل والتجانس الثقافي في إطار المجتمع الواسع، وتأخذ وظيفة المدرسة الثقافية أهمية متزايدة وملحة كلما ازدادت حدة التناقضات الثقافية والاجتماعية بين الثقافات الفرعية القائمة في إطار المجتمع الواحد⁽²⁾؛ كالتناقضات الاجتماعية، والعرقية، والجغرافية، وهي التناقضات التي يمكن أن تشكل عامل كبح يعيق تحقيق وحدة المجتمع السياسية، ومدى تواصله الثقافي وتفاعله الاقتصادي

(1) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص36.

(2) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره، ص81.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

وتجلت أهمية هذه المسألة في مرحلة نشوء وتكوين الأسواق القومية في أوروبا في مرحلة الثورات البرجوازية، وهي الثورات التي اقتضت وجود ثقافة واحدة لمجتمع اقتصادي واحد.

ولقد لعبت المدرسة وما تزال تلعب دوراً يميز بالأهمية في تعزيز لغة التواصل القومي بين جميع أفراد المجتمع وتحقيق الوحدة الثقافية عبر تحقيق التجانس في الأفكار والمعتقدات والتقاليد والتصورات السائدة في المجتمع الواحد، ويرى الباحث "سعيد إسماعيل"؛ أن المدرسة التي أوجدها المجتمع كانت للقيام بواجبات معينة ألا وهي:

1- النقل الثقافي: حيث تقوم المدرسة بنقل التراث الثقافي من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة بأساليب ووسائل جيدة تقتضيها طبيعة العصر، مع مراعاة أن عملية النقل هذه تستلزم تطهيره وتنقيحه من الشوائب والخرافات بالإضافة إلى محاولة تبسيطه ليتلقاه المتعلم بشكل ميسر.

2- التكامل الاجتماعي بين الجماعات التي تنتسب للمجتمع؛ إذ ينتسب للمجتمع جماعات متعددة حيث يكون للمدرسة دور كبير في القضاء على التناقضات التي قد تنشأ بين هذه الجماعات وتحقيق التكامل في بينها، وبذلك يتحرر المتعلم من الانعزال المحصور بين جماعته.

3- النمو الشخصي للتلميذ سواء كان داخل المدرسة أو داخل بيئة المجتمع الكبير .

4- تنمية أنماط اجتماعية جديدة: فالتربية وسيلة تكوين أنواع السلوك وتغييرها وتميئتها على أساس من العلم والمعرفة، لذا كان لزاماً على المدرسة أن تقوم بواجبها في تنمية أنماط اجتماعية جديدة حصلت نتيجة التطورات الجديدة والحاصلة في المجال العالمي كله، لتجعل منهم مواطنين صالحين قادرين على التكيف مع جماعاتهم التي يعيشون فيها .

5- تنمية القدرات الإبداعية: المؤسسات التي تستند إلى المعرفة العلمية بحاجة إلى أفكار إبداعية والمدرسة في سعيها إلى تنمية الإبداع لا بد أن تنمي لدى الطالب الفضول المعرفي واستكشاف المجهول⁽¹⁾.

4- وظائف المدرسة الحديثة:

تحدث الباحث "طارق السيد" عن وظائف المدرسة وسنحاول أن نلخصها في النقاط التالية:

1- إن وظيفة المدرسة منذ القديم تشير إلى دورها في عملية التنشئة الاجتماعية والتربوية والأخلاقية للأطفال وصغار السن.

(1) - سعيد اسماعيل علي: نشأة الفكر التربوي وتطوره، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص.ص (264-266).

2- تقوم المدرسة في العصر الحالي بتطوير قدرات التلاميذ، وذلك بتأهيلهم لاستيعاب المعارف من مختلف العلوم والتكنولوجيا الحديثة.

3- تساهم المدرسة في نقل الثقافة وبقائها في الجيل الحالي وتناقلها للأجيال القادمة.

4- تشارك المدرسة في تطوير قدرات التلاميذ على عملية النقد العقلاني بهدف توسيع مدارك التلاميذ⁽¹⁾.

لقد حدد "طارق السيد" إضافة إلى ما سبق عرضه، من وظائف المدرسة التنشئة الاجتماعية وتطوير قدرات التلاميذ وتأهيلهم لاكتساب كم هائل من المعارف، كما أنها تقوم بنقل الثقافة من جيل لآخر وتشارك في تطوير قدرات التلاميذ العقلية، أي التحليل والربط فالاستنتاج بمنطق بهدف توسيع مداركهم، وبذلك يتوفر لدينا أفراد متخصصين في العلوم.

وينفق الباحث "عبد الله محمد عبد الرحمن" مع الباحث "طارق السيد" في وظائف المدرسة الحديثة ولخص وظائفها فيما يلي:

- نقل الثقافة في المجتمع من جيل إلى جيل.

- تزويد المجتمع بالمبدعين والمجددين.

- للمدرسة وظيفة سياسية.

- للمدرسة وظيفة اقتصادية.

- للمدرسة وظيفة الانتقاء الاجتماعي⁽²⁾.

فالمدرسة تقوم بعملية الانتقاء الاجتماعي؛ وذلك من خلال الاختبارات التي يمتحن فيها التلاميذ والتي تظهر مستوياتهم التعليمية مرحلة بعد مرحلة، فيظهر من المتفوقون من سيصبحون قادة سياسيين في المجتمع، أطباء، علماء، مدرسين، الخ.

وقد حدد "مسيجراف" الوظائف التربوية للمدرسة في النقاط التالية⁽³⁾:

1- وظيفة النقل الثقافي، أي نقل ثقافة المجتمع بعد تثقيتها.

(1) - طارق السيد: مرجع سابق، ص.ص (18-20).

(2) - عبد الله محمد عبد الرحمن: علم اجتماع المدرسة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة (الاسكندرية)، 2001، ص 21.

(3) - فادية عمر الجولاني: مرجع سبق ذكره، ص 310.

- 2- وظيفة تقديم المبتكرين الذين يحتاجهم التغيير الاجتماعي.
 - 3- وظيفة تقديم القادة السياسيين وتأكيد الولاء للنسق السياسي.
 - 4- وظيفة الاختيار الاجتماعي، أي فرز القوى العاملة.
 - 5- وظيفة تتعلق بتزويد البناء الاقتصادي بالقوى العاملة.
- أما الباحث "أفرت ريمير" فيحدد وظائف المدرسة في⁽¹⁾:

1- كفالة الرعاية.

2- الاختيار للأدوار الاجتماعية.

3- تلقين مبادئ المعرفة.

4- التربية ورعاية الأفراد.

أما الباحث "إبراهيم ناصر" فحدد وظائف المدرسة الحديثة في ما يلي:

- 1- تبسيط التراث الثقافي وخبرات الكبار وتقديمها في نظام تربوي يتفق وقدرات التلاميذ، وهكذا يتدرج التلميذ في تعليمه من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد.
- 2- تنقية وتطهير التراث الثقافي وحذف كل ما هو غير ملائم من البيئة الاجتماعية، كي لا يؤثر في عادات التلميذ واتجاهاته في المستقبل.
- 3- توفير بيئة اجتماعية أكثر اتزاناً من البيئة الخارجية، مما يؤثر في تنشئة التلميذ وتكوين شخصيته، تكويناً يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع⁽²⁾.

من خلال ما سبق نجد أن الباحث "ناصر إبراهيم" حدد وظائف المدرسة الحديثة في تبسيط التراث الثقافي بطريقة يفهمها التلميذ، لتتماشى ومختلف مراحل العمرية، وتنقية وتطهير التراث الثقافي فمع انتشار شبكة الاتصالات الحديثة انتشرت معها ثقافات متباينة، وعلى المدرسة تبيان الجيد منها وتعليمه للطفل واستبعاد المخل للقيم والتقاليد المجتمعية، وأخيراً توفير بيئة اجتماعية متوازنة، أي داخل محيط المدرسة وخلال التفاعل الصفي وجميع التفاعلات التي تحدث بين جدران المدرسة، فالمربي السوي والسليم ينشئ جيلاً سليماً وواعياً.

(1) - فادية عمر الجولاني: مرجع سابق، ص310.

(2) - إبراهيم ناصر: أسس التربية، ط5، مطبعة عامر للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 1999، ص112.

كما أن المدرسة تقوم بوظائف مهمة بالنسبة للتراث الثقافي، التي جاءت في مؤلف الباحث "فكري حسن ريان"، والتي سنلخصها في النقاط التالية⁽¹⁾:

1- التبسيط الثقافي: وذلك عن طريق تقسيم الثقافة إلى علوم ومواد دراسية مختلفة ثم توزيعها على السنوات الدراسية، ضمن مقرر عام متدرج سهل الاستيعاب.

2- التطهير الثقافي: ويقصد به انتقاء ما هو جيد في الثقافة وتقديمه للأجيال الناشئة.

3- التوازن الثقافي: وذلك عن طريق إيجاد تناسق بين عناصر الحياة الثقافية الخاصة بمختلف الطبقات الاجتماعية.

4- التكامل الثقافي: ويقصد به تنسيق المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها الناشئ في المجتمع، القيم والنزاعات والأحكام المختلفة، بحيث يتم توجيه السلوك الاجتماعي للناشئ توجيهاً سليماً.

إذن فالمدرسة لها وظائف بالنسبة للتراث الثقافي؛ فهي تبسطه وتطهره من الشوائب، وتعتبر وسيلة للتوازن الثقافي، وأخيراً تحقق التكامل الثقافي؛ من خلال توجيه السلوك الاجتماعي للناشئ الوجهة الصحيحة والسليمة، التي لا تتعارض ومبادئ المجتمع وقيمه.

إضافة إلى ما سبق ذكره من الوظائف، فالمدرسة تقوم بتنمية الإطار القومي؛ وذلك من خلال المحافظة على الإطار القومي للمجتمع في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية، عن طريق التعليم والممارسة، كما أنه بالتربية يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ففي المدرسة يكون التفاعل إيجابياً عندما يقوم على الحوار والمناقشة بين المدرسين والتلاميذ وبين مختلف أعضاء الهيئة التربوية داخل المدرسة، والتفاعل هنا يكون مزدوجاً أي مشترك فيه أكثر من طرف عكس المذيع والتلفاز⁽²⁾.

فالمدرسة صورة مكبرة لبيت مصغر عن المجتمع، يجد فيها الطفل كثيراً من الأخوة والأخوات، فوظيفتها لا تقتصر على تعليم النشء القراءة والكتابة والحساب فحسب ولكن إعداد الفرد لما يتطلبه المجتمع الذي يعيش فيه⁽³⁾.

أما "جون ديوي" في كتابه "المدرسة والمجتمع" فقد حدد أهم وظائف المدرسة في النقاط التالية:

(1) - فكري حسن ريان: التدريس (أهدافه، أسسه، أساليبه، تقويم نتائجه، تطبيقاته)، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 1999، ص234.

(2) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره، ص.ص(81-82).

(3) - محمد عطية الأبراشي: روح التربية والتعليم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص.ص(26-27).

1- تبسيط وترتيب عناصر ميول الطفل التي يراد إنمائها.

2- تطهير المتعلم من العادات الاجتماعية المدمومة وتهذيبها.

3- تحقيق الانفتاح المتوازن للناشئين كي يعيشوا في بيئة مصغرة فيها مشاركة وتآلف وتكاتف⁽¹⁾.

فالمدرسة عند التربوي "جون ديوي" بيئة ديمقراطية تسعى لإيجاد المواطن الديمقراطي والتربية عملية دائمة للفرد ليساهم في بناء المجتمع مع مراعاة الفروق الفردية في التدريس ووضع المنهج الدراسي.

ويمكننا القول أن المدرسة الحديثة تبقى وظيفتها التي تعمل على القيام بها على أكمل وجه هي تكوين جيل صالح، مهذب، كامل، يتألم لألم الجماعة ويشعر بشعورها، يحب الإنسانية عامة وأمتة بصفة خاصة.

2-3- المدرسة والتنشئة الاجتماعية :

بالرغم من إن المظاهر الأولى للتنشئة الاجتماعية تبدأ وتترعرع في جو الأسرة، إلا إنها لم تعد تستأثر وحدها بتلك التنشئة في عالمنا المعاصر وذلك نتيجة النمو المتزايد للأبحاث والتكنولوجيا، مما أدى إلى الاهتمام بالتعليم عن طريق المدارس التي أوجدها المجتمع وأصبحت بناء أساسيا من أبنيتيه التي أوجدها لتقوم بتربية أبنائه وتنشئتهم، حيث لا توجد أي مؤسسة اجتماعية أخرى تمتلك من الفرص ما تمتلكه المدرسة، "فهي تعد المؤسسة الثانية بعد الأسرة المخولة بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال والناشئة، حيث تقوم بإعداد الأجيال الجديدة روحيا ومعرفيا وسلوكيا وبدنيا وأخلاقيا ومهنيًا من انخراطهم في المجتمع، وتعمل المدرسة اليوم على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية، كتحقيق التربية الفنية (الرسم، الموسيقى)، التربية البدنية، التربية الأخلاقية والروحية، والتربية الاجتماعية وتحقيق النمو المعرفي وأخيرا التربية المهنية"⁽²⁾.

وكمفهوم للتنشئة الاجتماعية من وجهة نظر "دوركايم"، فقد حددها قي بعدين:

أ- البعد الأخلاقي:

تتم في المدرسة تربية أخلاقية بالدرجة الأولى، "إن منظومة التمثل التي تجعل القواعد الاجتماعية ماثلة فينا فكرا وشعورا في شكل انضباط داخلي وخارجي (أي إزاء نواتنا وإزاء غيرنا) هي في الحقيقة

(1) - جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (لبنان)، 1978، ص52.

(2) - علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب: مرجع سبق ذكره، ص34.

منظومة أنشأها المجتمع في ضمائرنا⁽³⁾، لقد انطلق "دوركايم" من أمر ثابت تاريخيا وهو أن الأخلاق ليست ذات وجود مستقل، وإنما هي وثيقة الاتصال بطبيعة المجتمعات وتطورها، وليست الأخلاق في النهاية سوى حصيلة الحياة المشتركة في المجموعة، فهذه الحياة هي التي تفرض فكرة الواجب كما تفرض كبح الغرائز والأهواء والنزوات، غير أن منظومة التمثل تلك إنما هي من أمر التربية، وذلك أن للتربية وحدها مهمة تلقين جميع الأطفال المنتمين إلى المجتمع الواحد، بغض النظر عن اختلاف مواقعهم الاجتماعية، ففي كل مجتمع هناك مثال أخلاقي مشترك، ودين مشترك، من خلالهما يعبر المجتمع عن طريقة تصور العالم من خلال رموز وقيم وقواعد وسلوك.

ب- البعد الاجتماعي:

اعتبر دوركايم المدرسة أداة لتحرير الفرد وضمان استقلالية إرادته، فالمدرسة تضطلع بتلقين ما اصطلح عليه دوركايم بالثقافة الكونية، وهي ثقافة اجتماعية ذات طابع طبقي محدود.

4- خصائص المدرسة وأهميتها:

4-1- خصائص المدرسة:

1- تتكون المدرسة من عدد من المدرسين والمتخصصين في جميع نواحي الأنشطة والتخصصات، فالتلميذ يتلقى العلم والمعرفة ويكتسب على أيديهم المهارة والخبرة، ويكتسب الاتجاهات والقيم والعادات الخاصة بمجتمعه.

2- المدرسة بناء فيزيقي وتنظيمي يختلف من الناحية البنائية عن المستشفيات والمصانع والادارات الحكومية، فالتصميم البنائي للمدرسة يراعى فيه أولا المدخل، المكاتب الرئيسية للمديرين ومساعدتهم من النظار وأيضا السكريتارية، ثم الفصول الدراسية، وتعتبر الأقسام الرئيسية هي التي تستحوذ على البناء الفيزيقي الكلي للمدرسة، ويشغلها كل من المدرسين والتلاميذ وتشمل أماكن الجلوس للتلاميذ ومكان المدرس في المقدمة، بالإضافة إلى وجود أماكن اللعب والأكل (مطاعم)، وأماكن صحية وفي الإدارة هنا الخدمة النفسية والاجتماعية والحسابات والنقل المدرسي والمكتبة والمعامل⁽¹⁾.

3- تمثل المدرسة مركزا للعلاقات الاجتماعية المتداخلة والمعقدة.

(3)- Durkheim Emile: **Education et Sociologie**, P.U.F, Paris, P.P(51-52).

(1)- حسين عبد الحميد رشوان: **التربية والمجتمع** (دراسة في علم اجتماع التربية)، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية(مصر)، 2006، ص67.

4- يسود المدرسة الشعور بالانتماء أي الشعور بالحنين، فالذين يتعلمون في مدرسة ما يرتبطون بها ويشعرون بأنهم جزء منه وأنها تمثل في حياتهم فترة مهمة.

5- لكل مدرسة ثقافة خاصة؛ هذه الثقافة تتكون في جزء منها من أخلاق التلاميذ مختلفي الأعمار، وفي الجزء الآخر المدرسين وهي الوسيلة الفعالة في ارتباط الشخصيات المكونة للمدرسة ببعضها البعض⁽¹⁾.

وقد لخص الباحث **ابراهيم ناصر** أهم خصائص المدرسة في النقاط التالية:

1- إن المدرسة بيئة تربوية كبيرة الحجم، تسمح للتلميذ بنيل المركز الذي يناسبه دون احساسه بالضيق، بغض النظر إلى حالة القلق التي تنتابه في السنوات الأولى.

2- ان المدرسة مبسطة وموسعة ومصفية؛ موسعة لأنها تعمل على توسيع معارف التلاميذ ومداركهم، وتلخص لهم مختلف المراحل التاريخية وتربطهما بواقعهم اليوم، ومبسطة لأنها تبسط المواد المعرفية والمهارات المدرسية المعقدة، فهي تقوم بتفكيكها عبر مراحل وتبدأ من البسيط إلى المعقد ومن القريب إلى البعيد، والمحسوس إلى المجرد، وكونها صاهرة فهي تسعى إلى توحيد ميول التلاميذ وصهرها في بوتقة واحدة حسب فلسفة المجتمع القائم على التعايش والتفاهم واحترام الآخرين، كما أنها تقوم بتصفية التراث الثقافي من الشوائب التي لم تعد مناسبة للحياة المعاصرة⁽²⁾، فالمدرسة حسب "الباحث ابراهيم ناصر" بيئة مصفية وصاهرة وموسعة ومبسطة في آن واحد.

أما الباحث "أحمد منسي مصلح"، فقد حدد وظائف المدرسة بالنسبة للأطفال في النقاط التالية:

1- **تحقيق النمو الجسدي**: وذلك بإيجاد الظروف الصحية المناسب، وتعليم الطفل المعلومات الضرورية حول التغذية.

2- **النمو العقلي**: وذلك بتسهيل تلقين المعارف للتلميذ بتعويده على التفكير المنطقي والاجرائي، وتزويده بالمعلومات السليمة، وتعليمه الاعتماد على الذات واحترام الغير، والدفاع عن حقوقه والحفاظ على مجتمعه.

3- **النمو النفسي**: وذلك من خلال:

- تكوين الصفات الشخصية للتلميذ.

(1) - عبد الله الرشدان: مرجع سبق ذكره، ص52.

(2) - ابراهيم ناصر: **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ب ت، ص80.

- تكوين العواطف وتوجيه انفعالات التلميذ توجيهها سليماً وصحياً.
- خلق جو مدرسي منظم يتيح للتلاميذ فرص التعبير الحر عن مشاعرهم عن طريق الرسم وورشات الأشغال اليدوية.

- الكشف عن استعدادات الأطفال وقدراتهم ومواهبهم.

4- النمو الروحي والخلقي: وتظهر فيما يلي:

- تقوية الروح الدينية القائمة على الفهم الصحيح لتعاليم الدين، وتقوية جانبي الخير ومكارم الأخلاق.
- إبعاد الطفل عن الأجواء الخرافية والبدع.
- تنمية عزائم الأطفال وتقوية قدراتهم لمواجهة أعباء الحياة⁽¹⁾.

فحسب هذا الباحث للمدرسة وظائف خاصة بالطفل، فهي تنمي الجانب العقلي والنفسي والروحي والخلقي فيه، إلى جانب تحقيق النمو الجسدي له من خلال توعيته لمختلف أنواع الأطعمة الصحية وحتى الأساليب الصحية لتناول الأطعمة ومواقفها، وخاصة تعليمه النظافة قبل كل شيء من أجل جسم سليم لأن العقل السليم في الجسم السليم.

4-2- أهمية المدرسة:

تعتبر المدرسة المؤسسة التعليمية الهامة في المجتمع بعد الأسرة فالطفل يخرج من مجتمع الأسرة المتجانس إلى المجتمع الكبير الأقل تجانساً وهو المدرسة، هذا الاتساع في المجال الاجتماعي وتباين الشخصيات التي يتعامل معها الطفل تزيد من تجاربه الاجتماعية وتدعم إحساسه بالحقوق والواجبات وتقدير المسؤولية، وتعلمه آداب التعامل مع الغير، فالمدرسة تمرر التوجيهات الفكرية والاجتماعية والوجدانية من خلال المناهج الدراسية والكتب التي لا تنقل المعرفة فقط، بل تقوّل الطفل وتوجهه نحو المجتمع والوطن، كما تقدم المدرسة إضافة إلى هذا الجهد التعليمي في التنشئة بجهد آخر من خلال ممارسة السلطة والنظام وأنماط العلاقات في الصف ومع الجهاز التعليمي والرفاق أي أنها تحدد النماذج المرغوبة للسلوك من خلال صورة التلميذ المثالي أو المشاعب والناجح أو الفاشل وهكذا نلاحظ أن عمليات التربية بين جدران المدرسة تساهم إسهاماً مؤثراً في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي عبارة عن مجتمع صغير يعيش فيه التلاميذ حيث يوفقون فيه ما بين أنفسهم كأفراد وبين المجتمع الذي

(1) - أحمد منسي مصلح: التربية العامة، وزارة التربية، دمشق، 1972، ص.ص (96-100).

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

يعيشون فيه، وهم في هذا المجتمع الصغير يتدربون على العمل الجمعي وتحمل المسؤولية والمشاركة وإطاعة القانون وإدراك معنى الحق والواجب.

"في المدرسة يتعود التلاميذ على الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية واحترام القوانين، فالمدرسة نسق فرعي ضروري من الأنساق الاجتماعية يقوم بهذه المهام المذكورة بعد أن عجزت الأنساق الأخرى عن القيام بها"⁽¹⁾.

لا تقتصر أهمية المدرسة على مناهجها الدراسية، ولا على ما تعلمه للتلاميذ من معارف ومهارات معرفية، بل في بنية التنظيم الاجتماعي للمدرسة نفسها، أي في بنية وشكل العلاقات الاجتماعية الهرمية داخل المدرسة، بين الإدارة والمدرس وبين المدرس والمدرس، وبين المدرس والتلميذ وبين التلميذ والتلميذ، وتعمل كل هذه التنظيمات داخل المدرسة على غرس قيم ومعايير مثل الولاء، الطاعة، التنافس والمثابرة، وهي قيم مطلوبة لاستقرار النظام⁽²⁾.

إن التعامل في المدرسة أساسه النظام، فالطفل يأخذ بمقدار ما يعطي على عكس المعاملة الأسرية التي تتسم بالتسامح والتساهل والتضحية، لذا فالمدرسة تمثل مرحلة هامة من مراحل الفطام النفسي للطفل، فهي تتعهد القالب الذي صاغه المنزل بالتهذيب والتعديل عن طريق أنماط سلوكية جديدة، كما أن أسلوب المدرسة بسيط ومتسلسل حسب فئات الأعمار؛ فمع التراكم المعرفي وانتشار الوسائل السلوكية واللاسلكية التي سهلت الاتصال وانتشرت معها مختلف الثقافات، كان لزاما على المدرسة إيجاد وسائل بيداغوجية بسيطة بعيدة عن كل مظاهر التعقيد، تستخدمها في العملية التربوية، (...فسرعة الاتصال والانتقال بين الشعوب جعل الطفل الناشئ بحاجة ماسة إلى تقريب المبادئ التي بنيت عليها هذه الوسائل وتبسيطها بحيث يستطيع فهمها والتعامل مع هذا الجو الحضاري العالمي الجديد"⁽³⁾.

فالمدرسة تحاول من خلال وظيفتها التربوية تنقية التراث الثقافي وتصفيته من الشوائب، مع اختلاط الثقافات وتباين الأفراد في المجتمع الواحد، يختلط الشر بالخير والباطل بالحق، فالطفل بحاجة

(1) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سابق، ص 67.

(2) - نفس المرجع، ص 68.

(3) - عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط 2، دار الفكر، دمشق (سوريا)، 2001، ص.ص (149-150).

إلى الرعاية والاهتمام والحماية وتوضيح الطريق السليم الذي يضمن مستقبل أفضل للطفل، فالمدرسة هنا تقوم بوظيفة المرشد الحازم واللين في آن واحد.

"إن المدرسة انفردت بمجموعة من الميزات أعطتها أهمية خاصة، وجعلت منها مؤسسة تربية لها دور مهم في تربية الطفل، فهذه الميزات أكسبت بيئة المدرسة الكثير من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي ساعدت على تحقيق التربية الاجتماعية والأخلاقية للطفل"⁽¹⁾.

"والمدرسة الصالحة تكفل للشباب ألوانا مختلفة من النشاط الاجتماعي الذي يساعد على النمو واكتمال النضج، فهي تجمع بينه وبين أقرانه، فيميل إلى بعضهم ويفر من البعض الآخر، ويقارن مكانته التحصيلية والاجتماعية بمكانتهم ويتأثر بأفكارهم نحوه"⁽²⁾، فالمدرسة تؤدي دورها الفاعل في زرع القيم الإيجابية عند التلاميذ والشباب، هذه القيم التي تؤثر فيما بعد في سلوكهم بالإيجابية، إذ يتكون لديهم نمط الالتزام والتوافق والتكامل مع أفراد مجتمعهم.

5- المدرسة الجزائرية:

لا زالت الجزائر تعيش عبء التراكمات التاريخية للفترة الاستعمارية الفرنسية، وتعاني آثارها العميقة المنحوتة في مقومات الشخصية، ولعل حقل التربية والتعليم كان هو الأكثر تعرضا لانعكاسات الماضي بكل تناقضاته، بين الاستلاب الفرانكفوني والأصالة الوطنية، وبين الانتماء العربي والتجزر الأمازيغي، وتبقى قضايا الهوية واللسان هي صدى الماضي في صراعات الحاضر. ولقد خلف الاستعمار الفرنسي مآسي خطيرة وويلات إنسانية كبيرة في مختلف مناحي الحياة، لذلك من الطبيعي جداً في بلد كان طوال حقبة الاحتلال الاستعماري محروماً من حقه في المعرفة ومحظورة عليه سبل الدراسة وممارسة التعليم واستعمال لغته الوطنية، أن يكون التعليم بعد استرجاع الاستقلال من بين الأولويات التي تحظى بمكانة مرموقة في برنامج حكومته.

5-1 - التعريف والنشأة:

نشأت المدرسة الجزائرية عقب استرجاع الاستقلال الوطني وتطورت انطلاقاً من المسلمة القاضية بوجوب بناء أكبر عدد ممكن من المؤسسات التعليمية وتكوين أكبر عدد ممكن من المدرسين

(1) - محمد جابر محمود رمضان: مجالات تربية الطفل في الأسرة والمدرسة، عالم الكتب، القاهرة، 2005، ص68.

(2) - احسان محمد الحسن: علم اجتماع العائلة، دار وائل للنشر، عمان (الأردن)، 2005، ص209.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

والأساتذة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من التلاميذ والطلبة، وهذا التوجه كان يفرض نفسه فرضاً باعتبار ضرورة ملحة لأن الجزائر كان عليها أن تسارع في توفير الموارد البشرية اللازمة لمسيرة تنمية طموحة مستندة إلى مشروع مجتمع شديد الاهتمام بانتمائه الحضاري وبانفتاحه على العالم. فالمدرسة الجزائرية التي أخذت على نفسها انتهاج هذه الفلسفة قد تحركت ونمت في بيئة صعبة ومطبوعة بمناقشات حادة حول جدلية الكم والنوع، الأصالة والمعاصرة، وحول القضية الهامة المتمثلة في البرامج وفي الأساليب التربوية، هذا في وقت بلغت فيه نسبة الأمية في الجزائر أكثر من 90% وعلى ذلك قامت المدرسة الجزائرية على خمسة مبادئ أساسية:

- لكل مواطن الحق في التربية والتعليم والتكوين.
- التعليم إجباري لجميع الأطفال من 6 إلى 16 سنة.
- الدولة تضمن المساواة في شروط الالتحاق بالتعليم اللاحق للمرحلة الأساسية.
- التعليم مجاني في جميع مستوياته مهما تكن المؤسسة الملتحق بها.
- التعليم مكفول باللغة الوطنية.

لم يبدأ تعريب التعليم إلا سنة 1967 بعد صراع كبير بين دعاة التعريب والمتمسكين باللغة الفرنسية كلغة استعمال أولى في الإدارة ومختلف مصالح الدولة خوفاً من فقدان مناصبهم لصالح المعربين، لذلك استغلت أوساط سياسية معارضة الظرف لشن حملات التشكيك في قدرة اللغة العربية على استيعاب مفردات العلوم الحديثة وبرزت بشكل جلي بعض المظاهر الاجتماعية الساخرة من الدارسين باللغة العربية وبدا أن المجتمع الجزائري قد انقسم فعلاً في أحد أهم مقومات شخصيته، وهي اللغة، وكان أن تخرجت الدفعات الأولى المعربة سنة 1980 وهي نفس السنة التي عرفت ميلاد «المدرسة الأساسية» وهي مرحلة كاملة من التعليم بتسع سنوات تهدف إلى إعطاء الصغار ثقافة علمية وتقنية ملموسة وذات مستوى عال في آن واحد، وإلى ضمان إدماج المعارف العلمية مع امتداداتها التكنولوجية والعلمية، والتعليم المقدم في هذه المرحلة ينظم ويحضر لعملية الانتقال إلى الشعب والتخصصات اللاحقة للمدرسة الأساسية، لقد كانت النتائج محل جدال واسع حيث تضافرت عدة عوامل سلبية مثل النمو السكاني السريع وفساد طرق التعليم وعدم تكيفها مع مقتضيات المستحدثة في فن التربية، وتسييس المدرسة، وأصبحت مفردات المردود، والمستوى، محتوى البرامج، الانفتاح على العصر من الألفاظ السائدة في معادلة التعليم في الجزائر.

عرفت المدرسة الجزائرية خلال النصف الأول من التسعينيات صدعاً خطيراً تزامن مع تداعيات النظام الديمقراطي الناشئ وإقرار التعددية الحزبية وحرية إنشاء الجمعيات المدنية والنقابات المهنية، تفتت ظاهرة الانتماءات الحزبية في الأوساط المدرسية، وانعكست القناعات الحزبية للمعلمين والأساتذة على أدائهم التربوي في مختلف مراحل التعليم، فتأثرت المنظومة التربوية بكاملها بارتدادات أزمة سياسية حادة اتسعت دائرة الصراع فيها بين الفرانكفونيين والمعربين إلى ما بين المتعاطفين مع التيار الإسلامي السلفي المتشدد، وأنصار التيار الوطني، ورموز التيار الديمقراطي العلماني، ودعاة حماية النظام الجمهوري، كما مثل حقل التربية والتعليم مجالاً للصراع بين «التغريبيين» والوطنيين، وكانت مسألة الانتماء الإقليمي أحد محاور الصراع بين تيار متمسك بالانتماء العربي، وآخر يؤكد على أولوية الانتماء الإفريقي، وثالث يشدد على الانتماء المتوسطي بما يحمله من تبعية للغرب، ورابع لا يرى الجزائر إلا في عالمها الإسلامي.

لقد كانت الدورة الثامنة للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي في مايو 1997 منطلقاً جديداً من أجل تشخيص الداء وتحديد العلاج حيث تضمن تقرير المجلس حول المشروع التمهيدي للاستراتيجية الوطنية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، أنه علاوة على الضرورة الملحة لتنمين وضع فئات أسرة التعليم ورفع أجورهم بما يضمن المستوى التعليمي الرفيع للأجيال القادمة، نصت التوصيات على ما يلي:

- إعادة توازن مختلف أطوار المنظومة التربوية بصفة منسجمة.
 - تغيير محتوى البرامج والمناهج التربوية.
 - النفتح على لغة أو لغتين أجنبيتين.
 - تحسين التأهيل التربوي للمراحل الابتدائية والإعدادية والمتوسطة.
 - تنظيم البحث التربوي، وتحديث محتوى الكتاب.
 - رد الاعتبار للتعليم الثانوي التقني باعتباره من ضرورات الساعة.
- لقد مر تنظيم التربية والتعليم بعد الاستقلال بثلاث فترات أساسية:

- الفترة الأولى: 1962-1976:

وتعتبر هذه الفترة انتقالية، حيث كان لا بد لضمان انطلاق المدرسة من الاقتصار على إدخال تحويرات انتقالية تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي يساير التوجهات التنموية الكبرى و من أولويات هذه الفترة :

- تعميم التعليم بإقامة المنشآت التعليمية ، و توسيعها إلى المناطق النائية.

- جزارة إطارات التعليم.

- تكيف مضامين التعليم الموروثة عن النظام التعليمي الفرنسي.

- التعريب التدريجي للتعليم.

وكان من نتيجة ذلك الارتفاع في نسب التمدرس في صفوف الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة إذ قفزت من 20% إبان الدخول المدرسي الأول بعد الاستقلال إلى 70% في نهاية المرحلة.

- الفترة الثانية - ابتداء من سنة 1976 :

بدأت هذه الفترة بصدور الأمرية رقم 35-76 المؤرخ في 16 أبريل سنة 1976 المتضمن تنظيم التربية و التكوين في الجزائر، الذي أدخل إصلاحات عميقة وجذرية على نظام التعليم في الاتجاه الذي يكون فيه أكثر تماشيا مع التحولات العميقة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية. و قد كرس الأمر السابق الطابع الإلزامي للتعليم الأساسي ومجانيته و تأمينه لمدة 9 سنوات، وأرسى الاختيارات و التوجهات الأساسية للتربية الوطنية من حيث اعتبارها:

- منظومة وطنية أصيلة بمضامينها و إطاراتها و برامجها.

- ديمقراطية في إتاحتها فرصا متكاملة لجميع الأطفال الجزائريين.

- متفتحة على العلوم والتكنولوجية.

- الفترة الثالثة - ابتداء من 1999:

انطلاقا من نفس المبادئ السابقة والمتمثلة في أن التعليم إجباري إلزامي مجاني يقوم إصلاح 1999 على:

-الهيكلية الكلية القطاع: إن كل تجديد في المناهج والأساليب يقتضي تجديدا في الهياكل والمنشآت والوسائل تكيف وخطط التعليم المعاصر القائم على المدرسة خارج الجدران والمدرسة بدون صفوف والمدرسة ذات المعلم الواحد والتعليم بالأساليب الميكرو وتقنية⁽¹⁾.

5-2- خصائص المدرسة الجزائرية:

إن المدرسة الجزائرية وبوصفها عصرية وفعالة وذات تطلع مستقبلي ومن أهم خصائصها ما يلي:

1- تضمن 09 سنوات دراسة وقدر متساوي من المعلومات لكل طفل بفضل طابعها الموحد ودوامها المتصل خلال 09 ساعات.

2- مدرسة وطنية تستجيب لمتطلبات والمجتمع الجزائري؛ فهي مرتبطة بشخصية المجتمع ومحتوى برامجها مستوحى من القيم العربية الإسلامية دون إهمال الثقافة المحلية الأمازيغية.

3- مدرسة متعددة التقنيات، تستجيب لمتطلبات العصر، فهي تعمل على ربط المعارف النظرية بتطبيقاتها التكنولوجية المباشرة، وذلك لإعداد فرد واعي يستطيع التكيف في مختلف الأوساط الاجتماعية.

4- التعلم في المدرسة الجزائرية حق لكل طفل جزائري وهو إجباري مجاني⁽²⁾.

يستمد نظامنا التربوي منطلقاته من المبادئ المؤسسة للأمة الجزائرية:

1- يجب أن يساهم في ديمومة صورة الأمة الجزائرية، وذلك من خلال:

- المعرفة التي يعطيها لجغرافيا الوطن (الطبيعة والبشرية والاقتصادية) والارتباط الذي يولد إزاء البلد الأم وتاريخه الضاربة جذوره في التاريخ منذ آلاف السنين.

- الدلالة التي يعطيها للتراث الثقافي والموروث الحضاري للوطن، ويساهم في ديمومتها.

- الوعي الذي يستحدثه وينميه لدى المجتمع الجزائري في مجمله.

2- يرتكز النظام التربوي على مميزات ممتدة معا من نمط تنظيم المجتمع الجزائري المعتمد منذ بيان أول نوفمبر، ومن احترام قوانين الجمهورية.

(1) - من خطاب السيد رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، ماي 2000.

(2) - بلقاسم سلاطونية، علي بوعناقة: علم الاجتماع التربوي (مدخل ودراسة قضايا المفاهيم)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، ب ت، ص.ص (57-58).

- انه نظام وطني من خلال توجيهاته الأساسية خصوصا وغاياته وبرامجه ومحتوياته وطرق تنظيمه.

- انه ديمقراطي ومن ثم فهو: مفتوح للجميع دون تمييز للجنس أو الأصل أو الحالة الاجتماعية، مكيف وفق احتياجات كل واحد، تحقيقا للعدالة بين الجميع.

- إنه يضمن بوجه خاص تألف كل مواطن بالنسبة إلى ما يتمتع به من استعداد لا غير، وهو يساعد التلاميذ الذين يعانون صعوبات ويشجع ذوي المواهب.

3- قيم النظام التربوي ومقوماته⁽¹⁾:

- غرس الوطنية في نفوس الأطفال.

- صون المركبات الأساسية للهوية الوطنية التي هي الإسلام والعروبة والأمازيغية وترقيتها وتنميتها.

- التمسك بالوطن وبماضي الجزائر.

- الإلمام بتراث الجزائر الثقافي والحضاري والعمل على رعايته وتجويده.

- السعي لإبقاء الجزائر في محفل الأمم ولحماية هويتها وتمجيد عظمتها.

- الطابع الديمقراطي؛ أي قبول الاختلاف والرأي الآخر.

3-5- أهداف المدرسة الجزائرية:

"إن المدرسة الجزائرية المجددة- المدرج الأول لتلقي الثقافة الديمقراطية وأفضل ضمان للتوافق الاجتماعي والوحدة الوطنية، تسهر على تكوين مواطن يتمتع بمعالم لا جدال فيها، مواطن وفي لمبادئه"⁽²⁾.

بموجب الأمرية 16 أفريل 1976 يمكن استخلاص صنفين من الأهداف:

1- أهداف وطنية:

وتتمثل في تنمية شخصية الأطفال والمواطنين وإعدادهم للعمل والحياة وإكسابهم المعارف العامة العلمية والتكنولوجية التي تمكنهم من الاستجابة للتطلعات الشعبية التواقفة إلى العدالة والتقدم وحق المواطن الجزائري في التربية والتكوين.

(1) - مجلة المربي: إصلاح المنظومة التربوية (الاطار المرجعي العام للنظام التربوي)، المجلة الجزائرية للتربية، المركز الوطني للوثائق التربوية، العدد الأول، أفريل/ماي 2004، ص08.

(2) - انظر الموقع الإلكتروني: <http://WWW.Tarbia.net> بتاريخ زيارة في 2009/12/13 على 21.00 سا.

2- أهداف دولية:

تتجسد في منح التربية التي تساعد على التفاهم و التعاون بين الشعوب و صيانة السلام في العالم على أساس احترام سيادة الأمم و تلقين مبدأ العدالة والمساواة بين المواطنين والشعوب، وإعدادهم لمكافحة كل شكل من أشكال التفرقة والتمييز، وتنمية تربية تتجاوب مع حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

وصار التعليم بموجب هذا الأمرية مهيكلا حسب المراحل التالية:

- تعليم تحضيرى غير إجبارى .

- تعليم أساسى إلزامى ومجانى لمدة 9 سنوات .

- تعليم ثانوى عام .

- تعليم ثانوى تقنى .

وقد شرع في تعميم تطبيق أحكام هذا الأمر ابتداء من السنة الدراسية 1980-1981 ، وما يزال إلى حد الآن يشكل الإطار المرجعى لأي مشروع يستهدف إدخال تحسينات و تحويلات على النظام التعليمى .

وقد حددت المدرسة الجزائرية أهدافها في وثيقة سميت بالأمرية 16 أفريل 1976، وفي

المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسى للمجلس الأعلى للتربية⁽¹⁾:

- ضمان تسع سنوات دراسية لكل طفل .

- ضمان قدر متساو من المعلومات لكل طفل .

- توحيد لغة التعليم .

- ترغيب وتكوين الطفل على العمل اليدوى .

- الاهتمام بالبحث التربوى .

- بعث حياة اجتماعية بالمدرسة .

- ربط النظام التربوى بالمخطط الشامل .

(1) - بلقاسم سلاطونية، علي بو عناقفة: مرجع سبق ذكره، ص60.

ومع المتغيرات المجتمعية والعالمية الجديدة، يحاول النظام التربوي الجزائري العمل جاهدا على بناء جيل من المدارس يناسب المرحلة الراهنة.

5-4- الإصلاح التربوي الجزائري:

"إن الإصلاح الذي نشرع فيه اليوم، يمثل عمل طويل النفس، فهو كعملية بذر في أرض خصبة يقوم بها الأجداد للأجيال، إنها عملية متواصلة، وجهد دائم لمواكبة التطور المستمر لمجتمعنا وللعالم من حولنا"⁽¹⁾.

من خلال خطاب السيد رئيس الجمهورية نتأكد أن المدرسة الجزائرية، مثل أية مدرسة في العالم، تحتاج دائما إلى مراجعة وإعادة النظر وتطوير وهو ما يطلق عليه عادة الإصلاح، والنفوس مهيئة فعلا منذ سنوات طويلة لإدخال تعديلات وتغييرات تتماشى مع حقائق المجتمع المتغيرة والمتطورة.

لقد عرفت الجزائر إصلاح المنظومة التربوية منذ نهاية التسعينيات وبداية الألفية الثالثة مراجعة جديّة لقطاع التعليم تعرف بعملية «إصلاح المنظومة التربوية» وتهدف إلى إعادة الهيكلة التي تشمل أطوار التعليم الإلزامي وبعد الإلزامي، بحيث إن عملية إعادة التنظيم هذه تجزأ التعليم الإلزامي إلى وحدتين: المدرسة الابتدائية والمدرسة المتوسطة، تنتقل مدة التعليم بالمدرسة الابتدائية من 6 سنوات إلى 5 سنوات، وتزيد مدة التعليم بالمتوسطة من 3 إلى 4 سنوات، كما تعمل إعادة هيكلة المنظومة التربوية على إعادة تنظيم أطوار التعليم بعد الإلزامي في ثلاثة أجزاء: التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، والتعليم التقني والمهني وأخيرا التكوين المهني، وهذه التجزئة تضيّ تمييزاً جلياً بين تعليم ثانوي وتكنولوجي الذي يحضر للدخول إلى الجامعات، وتعليم تقني مهني يحضر للعمل بشكل أساسي⁽²⁾، أما على مستوى مضمون البرامج فبدا واضحا تركيز مفهوم الانتماء الجزائري لحوض البحر الأبيض المتوسط، كما تم التأكيد على البعد الأمازيغي في الشخصية الجزائرية إلى جانب البعدين العربي الإسلامي بإقرار تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس الابتدائية في ولايات منطقة القبائل كمرحلة أولى تنتظر التقييم تمهيدا لتحضير تعميمها على سائر مدارس القطر وهذا انسجاماً مع ترسيم الهوية واللغة الأمازيغية في الدستور الجزائري، والاعتراف باللغة الأمازيغية لغة وطنية.

(1) - من خطاب السيد رئيس الجمهورية بمناسبة تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، ماي 2000.

(2) - مجلة المربي: مرجع سبق ذكره، ص 11.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

ففي القطاع التربوي تلتزم الجزائر بتحقيق الأهداف الستة المقررة في برنامج التعليم للجميع وكذا أهداف الألفية للتنمية حتى عام 2015 وتضاف إليها الأهداف الدولية وهي تلك التي تدخل في إطار المخطط التنموي للقطاع لسنة 2025 مع متابعة جهود تأمين تنفيذ إصلاح المنظومة التربوية الذي قرر خطوطها العريضة المجلس الوزاري في 30 أبريل 2002، ويرمي إصلاح المنظومة التربوية إلى تحسين نوعية التعليم ومردودية المنظومة التربوية من خلال الأهداف التالية:

- تعميم تدريجي للتعليم التحضيري لجميع الأطفال البالغين من العمر 5 سنوات.
- تدرس جميع الأطفال الذين هم في سن الدراسة.
- تمكين التحاق 90% من فئة من في سن نهاية التعليم الإلزامي حتى بعد إعادة السنة مرة أو اثنتين.
- العمل على تمكين التحاق 75% من التلاميذ الذين أنهوا التعليم الإلزامي بالتعليم بعد الإلزامي بتنمية التعليم المهني.
- توجيه 70% من التلاميذ إلى التعليم الثانوي والتكنولوجي، ويتوجب توجيه نسبة 30% المتبقية إلى التعليم التقني والمهني.
- بلوغ نسبة نجاح في امتحان شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) للتعليم الثانوي 75% بين تلاميذ السنة الثالثة الثانوي.

هذه الأهداف المعبر عنها بالنسب المئوية إنما تتعلق بالملايين من التلاميذ والطلبة يتجاوز عددهم 7,636 ملايين تلميذ في العام الدراسي 2008 / 20 07 منهم أكثر من 3,931 ملايين تلميذ في التعليم الابتدائي، و 2,595 مليون تلميذ في التعليم المتوسط، وأكثر من 974 ألف تلميذ في التعليم الثانوي، يقابل ذلك انخفاض في عدد المدرسين في التعليم الابتدائي من 170562 مدرسا عام 1999 إلى 168962 مدرسا عام 2008 / 20 07 منهم 89697 من النساء، وزيادة لا يستهان بها في عدد المدرسين في التعليم المتوسط من 101261 مدرسا عام 1999 إلى 116285 في عام 2007 / 2008 منهم 64 ألف امرأة⁽¹⁾، كما عرف التعليم الثانوي خلال نفس الفترة توسعا كبيرا في المنشآت بلغت أكثر من 60 ألف مدرسة في عام 2008 / 2007 قفز معه عدد المدرسين من 54761 مدرسا عام 1999 إلى 69459 مدرسا عام 2008 / 2007 منهم 32734 امرأة.

(1) - لمزيد من الاطلاع زر الموقع:

http://www.meducation.edu.dz/francais/congre/congre/enseig_second.htm بتاريخ 2010/03/15

على الساعة 21.00 سا.

5-5- النظام التربوي الجزائري:

النظام التربوي EDUCATIONAL INSTITUTION فهو يشير إلى النظام الذي يتضمن المعايير والقواعد والقيم المحددة لأدوار القائمين بعملية التربية سواء الرسمية والمتعلمين هذا بالإضافة إلى أساليب ووسائل وطرق التربية المستخدمة في المجتمع⁽¹⁾.

"يشكل النظام التربوي في أي مجتمع من المجتمعات الحجر الأساس للتنمية الاجتماعية والاقتصادية وحتى باقي المجالات الحيوية الأخرى، ذلك أن مناط هذه التنمية فضلا عن ما تركز عليه من معطيات تكنولوجية ومادية، فإنها تركز أكثر على الإنسان الذي يعتبر أهم عنصر في هذه العملية"⁽²⁾.

1- مرحلة ما قبل الاستقلال:

كانت التربية قبل الاحتلال الفرنسي شديدة الانتشار في الجزائر، إذ كانت تمتد على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من الكتاتيب والمدارس، لكن السلطات الاستعمارية الوحشية استغلت ببشاعة الدور الخطير الذي تنهض به المدرسة في استخلاف الأجيال، فأقامت في البلاد منظومة تربوية بديلة مارست من خلالها ضغطا شديدا على عقيدة الشعب وحضارته وأصالته وذلك بفتح مدارس للأهالي تتلخص مهمتها في تكوين المساعدين الذين يحتاج إليهم الاستعمار لخدمة أغراضه، بينما كانت مدارس الأوروبيين نسخة مطابقة للنموذج الأصلي بجميع مكوناتها العصرية، إلا أن هذه السياسة اصطدمت بمقاومة شعبية بأسلة وشاملة استطاعت أن تحافظ على شكل من أشكال التربية والثقافة الوطنية بواسطة الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة التي كان ينفق عليها الشعب، والتي كان لها الفضل في تكوين أجيال واعية بانتمائها الثقافي والروحي والحضاري⁽³⁾.

2- مرحلة ما بعد الاستقلال:

وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام وضع اقتصادي واجتماعي وثقافي منهار تجلت معالمه في تفشي الأمية والجهل وانتشار الأمراض وقلة البنى التحتية، ونقص في الموارد المالية والبشرية التي تكون في مستوى تحدي الأوضاع، لكن الدولة الجزائرية الفتية آمنت بدور التربية التي تعد أساس كل تنمية بادرت إلى تجنيد وتعبئة كل الإمكانيات المتاحة آنذاك، واستعانته بالدول الشقيقة

(1) - سميرة أحمد السيد، مرجع سابق، ص 56.

(2) - توفيق زروقي: النظام التربوي في الجزائر (محاكاة نقدية لواقع التوجيه المدرسي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 03.

(3) - الأمر رقم 35 المتضمن التربية والتكوين (نشرة المديرية الفرعية للتوثيق سنة 1976-1998).

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

والصديقة من أجل بناء منظومة تربوية جزائرية، وقامت في هذا السياق بمساع حثيثة لإدخال إصلاحات عبر مراحل عديدة، ويقول الباحث "عبد الرحمن سلامة" عن هذه الفترة أن "الخامس من جويلية عام 1962 يوم ليس كسائر الأيام في تاريخ الجزائر، فقد احتفلت فيه الجزائر بعيد الاستقلال، وجاء هذا الاستقلال بعد معاناة لأزيد من قرن من الزمن، مع تركة كبيرة ورثتها بلادنا عن الاستعمار الاستيطاني الذي كان استغلاليا منذ أول لحظة، لقد ترك الاستعمار الفرنسي الشعب الجزائري في أسوأ أحواله، شعب نفشت فيه الأمية بنسبة 98%، إدارات مؤسساته مخربة هجرها إطاراتها الاستعمارية، خزينة خاوية تعرضت للنهب والتخريب، إذ مؤسسات كل القطاعات فارغة وثمانية آلاف قرية مهدمة ومدمرة تدميرا شبه تام وأكثر من مليون أرملة و900 ألف ابن شهيد ويتيم مع قرابة مليون معطوب حرب ونصف مليون لاجئ عادوا من البلدان الشقيقة، هذا إلي جانب المصانع المغلقة التي نجم عنها تعطل الحياة الاقتصادية ونقص في الإطارات، وما لحق بالمدارس من حرق وتخريب وتدمير"⁽¹⁾.

إن الوضعية الاجتماعية للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال كانت مزرية بسبب حدة المشاكل الاقتصادية للجزائر المستقلة والخروج الجماعي للمعمرين الفرنسيين بهدف تفرغ البلاد من الإطارات في الميادين المختلفة الاقتصادية والصناعية والإدارية والتعليمية وهذا لتثبيت فرنسا للعالم عجز الجزائر عن إدارة وتسيير أمورها الاقتصادية، فقد غادر الجزائر حوالي 560000 فرنسي باتجاه الخارج إذ كان معظمهم يحتل مناصبا إداريا مهما مما جعل هجرتهم ذات أثر كبير علي سير الإدارة الجزائرية التي أصابها العجز والتعطل بشكل شبه تام إذ كان الأوروبيون يمثلون 82% من الإدارة، وعليه فالوضع كان مشلولا بشكل كامل، لذا وجب الاستفادة من المكاسب الرئيسية للسياسة التنموية والتي تكمن في أربعة جوانب أساسية على الأقل وهي:

- ان السيادة الوطنية قد تجسدت كليا على مستوى الأغلبية الساحقة لقطاعات النشاط الاقتصادي الذي أصبح الاستثمار الأجنبي فيه هامشيا، فزمام الأمور صارت بين أيادي العناصر الوطنية.

- أصبحت الدولة الجزائرية هي المسير الأساسي للتنمية بصفتها وسيلة تعبير عن السيادة الوطنية وضمن استمرارية المسار الثوري السائد.

- استفاد مئات الآلاف من العمال من الشغل وهذا من أجل استيعاب أنواع جديدة من الممارسات المهنية التي تنعكس في النهاية في المجتمع الجزائري الذي يدمجها بدوره في حياة أفراده.

(1) - عبد الرحمان سلامة ابن الدوامة: التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، الشركة الوطنية للنشر ومكتبة الشعب، الجزائر، 1981، ص32.

- لقد كانت للسياسة التنموية الاقتصادية نتائج على المجتمع الجزائري الذي حدث فيه تحول سريع⁽¹⁾. إن التحول السريع الذي نقصده هنا ليس على مستوى من يتخذ القرار أو على مستوى الهياكل والمنشآت بل التحول كان أكبر، فضمن العمل والتعليم والصحة والسكن... الخ من الحاجات التي حرم منها الفرد الجزائري لعقود طويلة، سيجعل فكره يتحرر ووعيه يكبر وينضج، فيعي ما حوله وتحدد مكانته بين الأمم، ولا ريب أن للتعليم أهمية خاصة في المجتمع، ونقصد التعليم بكل مراحل خاصة التعليم الأساسي، فهو يمثل قاعدة هرم التعليم كله كنظام، إذ يشكل الأساس لما يبني عليه من مراحل تعليمية ستليه، إضافة إلى أن الاهتمام بالتعليم في سن الطفولة المبكرة يحظى باهتمام عدد لا بأس به من علماء التربية والنفس والاجتماع⁽²⁾.

وللتغلب على مشاكل التربية والإسراع في بناء أركان الدولة، سارعت الجزائر المستقلة في البحث عن حلول سريعة، ومن بين ما تبنته من حلول أنها أخذت التشريع المدرسي الذي كان معمول به قبل الاستقلال، فأخذت من النظام التربوي الفرنسي سن بداية الدراسة في المرحلة الابتدائية وهو ستة سنوات وجعلت من المرحلة الابتدائية تمتد فترة 6-14 سنة وهي بعمر ثمانية سنوات أي من السنة الأولى إلى السنة النهائية الثانية التي فيها يتقدم الطلبة لامتحان القبول للسنة أولى ثانوي - عام وتقني - كما أنه اتخذت تدابير لتغطية النقص الكبير في عدد الهياكل التعليمية ومن هذه التدابير تحويل دور الحضانة إلى ما يشبه المدارس الابتدائية بعد أن ألغى القرار المؤرخ في 1965/09/23⁽³⁾ دور الحضانة وهذه المرحلة كانت موجودة قبل الاستقلال.

(1) - سفير ناجي، ترجمة: م. ع. بن ناصر: محاولات في التحليل الاجتماعي، د م ج والمؤسسة الوطنية للكتاب، ج1: التنمية والثقافة، الجزائر، ص. ص (276-277).

(2) - فكتور بلة وآخرون، مراجعة منذر المصري: التعليم الأساسي في الوطن العربي (آفاق جديدة)، دار الفرس للنشر مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن، 2002، ص 231.

(3) - رابح تركي عمارة: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 405.

جدول رقم (02): يوضح تطور مجموع التلاميذ ومنهم عدد الإناث (62-1977)⁽¹⁾:

السنة	المجموع	البنات
1963 - 1962	-	-
1966 - 1965	1.452.360	540049
1968 - 1967	1.603.702	584586
1972 - 1971	2.301.636	851620
1974 - 1973	2.741.925	1.044.094
1976 - 1975	3.134.892	1.218.030
1977 - 1976	3.383.051	1.334.323

المصدر: المديرية الفرعية للإحصاء، مديرية التخطيط بوزارة التربية، ص 204.

ما يلاحظ أن المنظومة التربوية عرفت تطور كبيرا وهذا ما تنطق به الأرقام المدونة في الجدول، فاحتواء هذه الأرقام المتزايدة لعدد التلاميذ صاحبه زيادات في عدد المعلمين والهيكل الدراسية فالمجتمع الجزائري في تلك الفترة عرف زيادة سريعة في نسبة المواليد مع تحسن ظروف المعيشة دفعت بالآباء لتعليم الإناث وهذا ما جعل عددهم على مقاعد الدراسة يزداد يوما بعد يوم رغم أن عددهم يظل أقل من عدد الذكور إلا أنها كانت أرقاما تتم عن وعي الآباء بضرورة تعليم أبنائهم وبالتالي سيستفيد المجتمع من كل شرائحه، فخلال عشرية من الزمن زادت عدد المؤسسات التعليمية في الجزائر كثيرة وهذا لاستقبال الأعداد المتزايدة من التلاميذ سنة وراء سنة، والسبب الآخر الذي يمكن إدراجه لتزايد المؤسسات التعليمية هو التنمية التي بدأت تظهر على الجوانب الحياتية في الجزائر، فارتفاع أسعار البترول عام 1973 مكن الدولة من التحكم في إيراداتها المالية وصرفها بالطريقة المناسبة.

أنجزت الجزائر خلال ثلث القرن الماضي حضيرة هائلة من الهياكل والمرافق البيداغوجية تكون شبكة مترامية الأطراف وهي تضمن تدرس ربع سكان الجزائر فواحد من أربعة جزائريين موجود على مقاعد الدراسة، كما أن حوالي 65 % من الأطفال من سن 17 سنة يحصلون على مساعدات إما مجانا أو بأثمان رمزية، وهذا للتقليل من التفاوت الطبقي وتحقيق المبدأ تكافؤ الفرص بين كل المواطنين، ومن إنجازات هذه الفترة أن مدارس الجزائر صارت مفتوحة لتلاميذ وطلاب من بلدان

(1) - لقد تم اختيار السنوات بناء على أهم السنوات التي جرت فيها أحداث مرت بها الجزائر في الفترة 1962-1977، وذلك لإبراز مدى تأثير النظام التعليمي بالأحداث والتغييرات التي حدثت في المجتمع الجزائري.

أخرى، لقد قفزت نسبة التمدرس في الجزائر بعد عقدين من الاستقلال قفزة كبيرة، فالنسبة التي قدمها الباحثون الفرنسيون والإدارة الاستعمارية نفسها تقدر بـ 10 % إلى 12 % عام 1960⁽¹⁾، بينما هي عالية في الفترة عرفت فيها الجزائر بناء صرحها الحضري (خلال السبعينات).

3- مرحلة ما بين 1977-2005:

يدخل النظام التربوي الجزائري خلال هذه الفترة مرحلة جديدة في مساره التنموي فسنة 1977 هي أولى سنوات تطبيق محتوى الامرية لذا فانه سيكون الحديث في هذا الجزء متمركزا لدراسة واقع النظام التربوي الجزائري خلال هذه الفترة المليئة بالأحداث.

1- التربية والتعليم من خلال المواثيق الرسمية للدولة الجزائرية:

يحتاج بناء الصرح الحضاري لكل دولة أن تقوم بسن تعليمات وقوانين التي تبرز مقوماتها الخصوصية.

1/ بيان أول نوفمبر:

إن القراءة السريعة للبيان لا تبرز أبدا أي إشارة صريحة عن التربية والتعليم إلا أنه يبرز أن ما يجب تحقيقه لا يتأتى إلا بالتربية والتعليم وهذا تلميح غير معن على أهمية التربية، فمن بين أهدافه الأساسية التي لن تتحقق إلا بوجود التعليم نجد مبدأ الدين الإسلامي كإطار حضاري وهوية وطنية فقد وردت إشارات في البيان حول أهميته الحضارية وأكد على أنه مقوم أساسي للثورة ومسارها، كما اعتبر مبادئه الإطار العام الذي تتم فيه المواصفات لقيام الدولة الجزائرية وكذا خصوصيات نظامها السياسي المستقبلي⁽²⁾، خاصة وأن قيادة حزب جبهة التحرير الوطني آنذاك أقرت بأن الإسلام ديننا للدولة -الذي فوق كل ما قد يقال ينادي- بضرورة التعلم بل يتعداه ليجعله فريضة على الجميع فلا يمكن أن يعرف احد مبادئ هذا الدين طالما لم يجد من يعلمه ويلقنه إياه.

2/ برنامج طرابلس:

انعقد مشروع طرابلس في شهر جوان من عام 1962، وجاء فيه بما يخدم موضوعنا النقاط التالية:

▲ احياء وتجديد الثقافة الوطنية والتعريب المتدرج للتعليم، على أساس علمي ووسائل ثقافية جديدة.

(1) - محمد العربي ولد خليفة: الجزائر المفكرة والتاريخية، أبعاد ومعالم، ط1، دار الأمة، للنشر، الجزائر، 1998، ص257.

(2) - حسن بركة: أبعاد الأزمة في الجزائر (المنطلقات -الانعكاسات -النتائج)، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص118.

▲ المحافظة على الشخصية الوطنية والثقافة الشعبية.

▲ توسيع النظام التعليمي عن طريق توفير التعليم للجميع وفي كل المستويات.

▲ جراحة البرامج من خلال تكييفها لواقع البلاد.

▲ توسيع مجال الطرق التربوية الجماهيرية، وتجنييد كافة المنظمات الوطنية لمكافحة الأمية تعليم كافة المواطنين القراءة والكتابة في أقرب الآجال، لأن بدون تعليم جماهيري واسع والسعي وراء تكوين الإطارات الفنية والادراية والمعلمين من العسير التحكم في قضايا التنمية الاقتصادية التي هي حاجة ملحة للجميع، كما انه عبر مصالح الطبقات الشعبية كنشر التعليم وتحسين الحالة الصحية والسكنية والمعيشية⁽¹⁾. وعليه يمكن القول أن القيادة العليا للبلاد وقبيل الاستقلال التام قد كانت واعية تماما بمدى أهمية التعليم وهذا ما جعلها تحرص على ذكر كل النقاط التي تراها مهمة لمرحلة البناء والتشييد.

3/ دستور عام 1963:

يعد أول دستور للجزائر المستقلة، جاء في ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية صعبة عرفت البلاد آنذاك، وفي فصله المتضمن للحقوق الأساسية الموجود في باب المبادئ والأهداف الأساسية ما يلي: "التعليم إجباري والثقافة في متناول الجميع بدون تمييز إلا ما كان ناشئا عن استعدادات كل فرد وحاجيات الجماعة"⁽²⁾، والمادة قد عبرت عن جملة من الحقوق التي يتمتع بها الفرد خاصة إذا عمل لصالح الجماعة، وعليه فإجبارية التعليم والثقافة لم تأتي بعد فترة طويلة بل جاءت والدولة تبني أركانها رغم الخراب والدمار، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية العلم التي يدركها الجزائريون والذي حرم منه لعقود طويلة.

4/ميثاق عام 1964:

نص مؤتمر الجزائر على أن الجزائر بلد إسلامي ولذا يجب إعادة الوجه الحقيقي للإسلام ودعا إلى ديمقراطية التعليم ورفض الإمبريالية وذلك بتبني الاشتراكية والعمل على إزالة الفوارق الاجتماعية، وضرورة التبادل العلمي. هذا على العموم أما فيما تعلق بالتعليم فقد أشار إلى ديمقراطية التعليم وإلى ضرورة التوجيه السليم بما تتطلبه البلاد من احتياجات وإدخال اللغة العربية في التعليم

(1) - بن عكي محمد أكي: ديمقراطية التعليم النظامي في الجزائر خلال الفترة 1962/1984 التوقع والإنجاز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، سنة 1987/1988، ص 121.

(2) - دستور 1963 صادق عليه المجلس الوطني في 28/08/1963، ووافق عليه الشعب في استفتاء 08/09/1963، ص 06.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

الابتدائي وتوسيع وسائل التكوين الجماهيرية ومكافحة الأمية بكل طاقاتها، وسمحت مسودته الأولى باستفتاء شعبي واسع شمل كل مناطق البلاد واشتركت فيه كل الفئات⁽¹⁾.

5/ميثاق عام 1976:

جاء هذا الميثاق بعد أن رسمت القيادات العليا للبلاد الإستراتيجية الخاصة التي على الجزائر قيادة وشعبا تتبعها، وأكد على أن الثورة الثقافية ترمي إلى ثلاث أهداف هي:

١ التأكيد على أن الهوية الجزائرية تحقيق للتنمية الثقافية.

٢ الرفع الدائم لمستوى التعليم المدرسي والكفاءة التقنية.

٣ اعتماد أسلوب في الحياة ينسجم مع الثورة الاشتراكية.

6/دستور عام 1989:

كغيره من المواثيق والداستائر فقد أكد على المبادئ العامة للأمة الجزائرية بما في ذلك النظام التربوي الذي أشار إلى طابعه الوطني، منهجه إسلامي، متتبع للعلوم والبحوث التطبيقية، متفتح على الابتكارات والاختراعات. لقد جاء هذا الدستور بعد أحداث يعرفها كل جزائري باسم أحداث أكتوبر 1988 وهي بداية مرحلة عرفت الجزائر فيها أحلك أيامها، وغيرت الجزائر الكثير من قناعاتها واتجهت وجهة كان يراها البعض أنها لن تسلكها، فظهرت التعددية الحزبية وظهرت الإمبريالية والتفتح على العالم بالانضمام إلى عدة منظمات بعد هذا التاريخ.

7/دستور عام 1996:

في هذا الدستور جاء في المادة 53 التي تنص في المبادئ العامة للنظام التربوي على النقاط التالية:

* مجانية التعليم.

* ديمقراطية التعليم.

* تكفل الدولة بتنظيم المنظومة التربوية.

إذن فهذا الدستور يوفر لجميع شرائح الشعب الجزائري بدون استثناء تعليما مجانيا، إلزاميا تتكفل الدولة بتنظيمه.

(1) - محمد العربي ولد خليفة: الثورة الجزائرية معطيات وتحديات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 87.

أكدت هذه الموائيق على تمسك الدولة الجزائرية بالتعليم، ولقد أعطت له الجزائر حصة الأسد من اهتماماتها خاصة إذا علمنا أن الكثير من الهيئات الدولية قد نادى إلى ضرورة أن تضاعف من جهودات الدول والمجتمع العالمي من أجل الفئات المحرومة والفقيرة حتى تتال نصيبها من التعليم خاصة إذا ما اعتبرناه -أي التعليم- عملية تستمر باستمرار الحياة بدلا من أن نعتبره نشاط مقيد بزمان معين ومكان معلوم في حياة الفرد⁽¹⁾.

2- الأهداف التربوية والغايات التعليمية للنظام التربوي الجزائري:

ينص الهدف التربوي القديم على خلق وبناء الإنسان، إنسان جزائري يساهم في دولة عصرية، غير أن النظام ظل يتخبط في المد والجزر بين مختلف المصطلحات والتسميات، إصلاح لا إصلاح، وصار الناتج المحصل 03 تلاميذ من 100 تلميذ يجتازون شهادة التعليم الثانوي بالإنقاذ، وأصبح النظام التربوي الجزائري لا يعلم ماذا يعلم وبماذا وكيف؟⁽²⁾.

لكل نظام أهدافه، لكن الهدف المشترك هو هدف التربية الأسمى يتمثل في تنمية أنماط السلوك والقيم والمعاني نحو حياة اجتماعية، فهو حسب المدخل النظري للدراسة النسق التربوي أداة توازن، لذا قبل الحديث عن غايات النظام التربوي في الجزائر، يجدر بنا أن نشير إلى المبادئ الأساسية التي بنيت عليها السياسة التربوية ونوجزها فيما يلي:

أ- البعد الوطني:

إن الإسلام والعروبة والأمازيغية هي المكونات الأساسية لهوية الأمة الجزائرية التي تكرر أصالتها، لذا يتعين على المنظومة التربوية أن تعمل على ترسيخها والنهوض بها لضمان الوحدة لوطنية والمحافظة على الشخصية الجزائرية، كما يستوجب عليها أن تتطلع نحو المستقبل بأن تعمل على إحكام التلاحم العضوي بين هذه القيم الأصيلة ورغبة الدولة في التقدم والحداثة.

ب- البعد الديمقراطي:

تقتضي التوجهات الجديدة للبلاد العمل على بناء نظام ديمقراطي يعمل على نشر الثقافة الديمقراطية قيما وسلوكا، ويتعين على النظام التربوي أن يتكفل هو بمناهجه وبكل عناصره بالنهوض بهذا البعد وأن يكرس في ذات الوقت مبدأ ديمقراطية التعليم.

(1) - حسن محمد حسان: التعليم الأساسي بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، لبنان، 1993، ص55.

(2) - بلقاسم سلاطينية، علي بوعنافة: مرجع سبق ذكره، ص56.

ج- البعد العلمي والتكنولوجي:

يقوم على التأكيد على الاختيار العلمي والتقني كأساس تقوم عليه المدرسة الجزائرية، غير أن هذا البعد يجب أن يتجسد علميا من خلال تخصيص توقيت مناسب للمواد العلمية والتكنولوجية خاصة في أطوار التعليم الأساسي.

د- البعد العالمي:

ما يميز علم اليوم أنه مترابط في كل المجالات وكذا أنه وفرة المعلومات والخدمات، وقد أدى النمو الشديد للمعارف العلمية على تطوير طرق العمل وتشجيع الإبداع، ومن الطبيعي أن يتفاعل النظام التربوي مع هذه المستجدات مما يتطلب تحديث المناهج وعصرنة الوسائل قصد الإسهام في التنمية المستدامة، والإشراك في بناء سرح التراث الإنساني بمراعاة الامتداد المغاربي والعربي والإسلامي والتعايش السلمي الإيجابي واحترام حقوق الإنسان والتعاون الدولي والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب.

وانطلاقا من هذه المبادئ يرمي قطاع التربية والتعليم إلى تحقيق جملة من الغايات التالية⁽¹⁾:

- بناء مجتمع متكامل متماسك معتر بثقافته وأصالته واثق من مستقبله، متميز بهويته المتمثلة في الإسلام عقيدة وسلوكا والعروبة حضارة وثقافة ولغة والأمازيغية ثقافة وتراثا.
- روح الديمقراطية التي ترمي إلى ترسيخ جملة من القيم منها: حرية التفكير والتعبير واحترام الرأي الآخر، والعدالة الاجتماعية، دون أن ننسى المساواة وعدم الإقصاء والتمييز.
- روح العصرنة والعلمية التي تمكن المجتمع من مواكبة التطورات العصرية.
- تكوين مواطن واعي بإكسابه الكفاءات والقدرات.

"إن التعليم الأساسي صيغة من التعليم للقاعدة العريضة من الجماهير ويشكل البناء الأساسي من المعارف والخبرات التي ترتبط بالحياة وتهيئ الأفراد لاكتساب المزيد من التعليم الذاتي"⁽²⁾، فهو نمط جديد من التعليم الشامل يعوض التعليم الابتدائي والمتوسط ويشكل البنية الموحدة والمضمونة للجميع.

(1) - انظر الموقع الإلكتروني: بتاريخ زيارة في: 2010/04/03 على 15h15

WWW.INFPE.EDU.DZ/PUBLICATION/PIVATE/ADMINISTRATION%20SECMOY/SYSTEMEDUC/SYSTEME%20EDUC1.PDF/

(2) - عبد الرحمن الأزرق: علم النفس التربوي للمعلمين، دار الفكر العربي بلبنان، ومكتبة طرابلس العلمية العالمية، ليبيا، 2000، ص. ص (194، 195).

6- المعالجة السوسولوجية للمدرسة:

6-1 - المداخل النظرية في دراسة المدرسة:

من أهم المنظورات السوسولوجية في دراسة المدرسة: الاتجاه البنائي الوظيفي ومنظور الصراع ومن المنظورات الحديثة: منظور التفاعل ومنظور الثقافة ومنظور التنظيم، وسنتناول كل اتجاه على حدى محاولين إبراز كيف عالج كل منظور المدرسة.

1 - منظور البنائية الوظيفية Structure Functional Perspective:

يهتم هذا الاتجاه بدراسة المدرسة على أنها مؤسسة تربوية تعليمية وأن لها صفة نظامية⁽¹⁾، إذ أن المدرسة من حيث كونها تنظيماً اجتماعياً لها العديد من الأدوار التي تتحقق من خلال التعاون بين النظامين التعليمي وبين النظم الاجتماعية الأخرى مثلاً: الاقتصاد، الدين، الحكومة، السياسة، وغيرها من النظم، ومن أهم العلماء الرواد لهذا الاتجاه نجد: أوجيست كونت، اميل دوركايم، سبنسر، تالكوت بارسونز، فيبر- وايت مور، روبرت ميرتون، وبلارد وللر، أوتاواي، أشبي،.. ومن أهم النقاط التي ناقشها أصحاب هذا الاتجاه ما يلي:

أ- التنشئة الاجتماعية:

إن المدرسة من حيث كونها مؤسسة تعليمية تربوية اجتماعية تحاول تحديد أهدافها لكي تقوم حياة دراسية سليمة، والتنشئة الاجتماعية في المدرسة يمكن أن تتحقق عن طريق:

التمييز الواضح للسلوك البنائي، تحديد عنصر المكافآت للسلوك الملائم ثقافياً، تحديد عنصر العقاب للسلوك الغير ملائم، اكتساب الحد الأدنى من الثقافات الجديدة⁽²⁾.

وتظهر هذه المظاهر بصورة واضحة عند انتقال التلميذ من صف لصف آخر أو من مدرسة لمدرسة أخرى، فعملية التعلم تساعد على تحقيق الأدوار الجديدة، كما تساعد على إنجازها.

ومن جهة أخرى يركز أصحاب هذا الاتجاه على أهمية التدريب المهني للمدرسة أو للفئات الإدارية) ولذلك لتمكينهم من أداء أدوارهم بصورة سليمة).

ويحاول هذا الاتجاه تحليل عملية تنشئة التلاميذ منذ الروضة وفي المرحلة الثانوية والجامعية، فالتلاميذ يكتسبون أدواراً جديدة في كل مرحلة، ولا سيما في مرحلة التعليم الأساسي فهي تساعد

(1) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص28.

(2) - عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سبق ذكره، ص.ص (49-50).

التلاميذ على اكتساب طرق متعددة كي تمكنهم من التكيف مع البيئة الاجتماعية، وخاصة البيئة التعليمية، كما أن التنشئة الاجتماعية وعملية التعلم هما عمليتان مستمرتان، كما يهتم المنظور البنيوي بصورة كبيرة بالعلاقة المزدوجة بين المنزل والمدرسة ويركز أيضا على الدور الذي يجب أن يقوم به كل من الوالدين والمعلمين في نفس الوقت، وذلك من أجل تحقيق معدلات عالية من معدلات التنشئة الاجتماعية والتربوية.

2- الضبط الاجتماعي:

هناك علاقة بين الضبط الاجتماعي والمدرسة بما أن المدرسة من المؤسسات الاجتماعية الهامة التي تحاول الحفاظ على بناءات النسق الاجتماعي ككل، ويظهر هذا جليا من خلال تحليلات دوركايم وميرتون عن بناء المعايير في المجتمع الحديث The structures of norms وكيف أنها تأثرت بالتغيرات الاجتماعية السريعة، والتي انهارت نتيجة الخلل الذي طرأ على نظام الضبط الاجتماعي ومؤسساته التي من بينها المدرسة بطبيعة الحال⁽¹⁾، كما أن عملية الضبط الاجتماعي توضح عن طريق تحليل العلاقة المتقاربة بين الأسرة والمدرسة الكثير من المفاهيم الخاصة بعملية التعليم، وتمارس هذه العملية في المدرسة وخارجها، وتتم الممارسة خارج المدرسة عن طريق الوالدين أو أحد أفراد الأسرة، فالضبط الاجتماعي يعتبر أحد المظاهر الرئيسية من مظاهر البناء الاجتماعي للمدرسة.

3- ثقافة المدرسة:

كل مدرسة تحتوي على بيئة ثقافية خاصة بها، والثقافة لها علاقة بالكثير من الرموز الثقافية، فالتلاميذ والعاملين بالمدارس يشتركون في رأي واحد مفاده أن هناك نوعا من السلوكيات الثقافية الملائمة داخل الحياة المدرسية اليومية، فهدف المعلمين الرئيسي هو التركيز على زيادة المعرفة أو تعميق الفهم العقلي⁽²⁾؛ إن للثقافة دور مؤثر في المشاعر إذ أن لها دور في تحقيق الشعور بالسعادة والألم داخل المدرسة، فهي تحاول إعادة تشكيل المفاهيم المتعلقة بأفكار التلاميذ وتصوراتهم السابقة، فالثقافة المدرسية تأثر في مدركات التلاميذ للمجتمع الذي يعيشون فيه والعامل الخارجي في نفس الوقت. ولقد حدد "مسيجراف" -أحد علماء التربية- طبيعة المدرسة النموذجية Ideal School يجب أن تتصف بالآتي⁽³⁾: أن تكون مستقلة، أن تكون صغيرة الحجم، أن تتمتع بصفات متميزة، أن تزود

(1) - طارق السيد، مرجع سبق ذكره، ص 31.

(2) - عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سبق ذكره، ص. ص (36-38).

(3) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص 36.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

التلاميذ بمجموعة محددة من القيم، ويتحدد اكتساب الثقافة المدرسية للتلميذ بشخصية التلميذ وكيف يستجيب وكيف يتأثر بالمعلمين، هذا ما اصطلح عليه بالضغوط الثقافية، فالثقافة تتشكل نتيجة للعلاقة بين الفرد والأفراد الآخرين عن طريق الاتصال بأنواعه.

4- البناء الاجتماعي للمدرسة: The Social Structure of the School

يتم تحديد طبيعة البناء الاجتماعي للمدرسة طبقاً لنسق الأدوار Roles وتقسيم العمل الذي يتم تحديده بدوره من خلال أنماط الفئات والطبقات العاملة من إدارة إلى معلمين إلى تلاميذ⁽¹⁾، كما أن المدرسة لها أنواع محددة من الحياة الاجتماعية اليومية التي تظهر في ردود أفعال الأفراد تجاه الآخرين، ويترتب على هذا الدور ما يعرف بالدور المتوقع.

إن دراسة البناء الاجتماعي للمدرسة يتم تحديده وفقاً لأنماط الثقافة المدرسية، وتحقيق أكبر قدر من أهداف التنشئة الاجتماعية والتعليم.

ثانياً: منظور الصراع.

يهتم أصحاب هذا الاتجاه فيما يخص النظام التربوي بالنقاط التالية:

- 1- النظام المدرسي أو التعليمي.
- 2- المشاكل اليومية للحياة الدراسية.
- 3- التصورات الماركسية حول بعض القضايا العامة⁽²⁾.

ويوضح كل من "ماركس وانجلز" وخصوصاً في تحليلاتهما لمفهوم الثقافة والطبقة والبناء الاجتماعي والأسرة وغيرها، فهما ينظران إلى المدرسة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية التي تقوم بدور أساسي في عمليات التنشئة الاجتماعية وخصوصاً في المجتمعات الرأسمالية، ومن أصحاب هذا الاتجاه: موريس لفتاس، باولز، جانيس.

وكتعليق على الاتجاهين الكلاسيكيين الاتجاه البنوي واتجاه الصراع كمنظورين تتاولا المدرسة كموضوع دراسة، يمكننا القول أن منظري كل اتجاه اعتمدوا في دراستهم للمدرسة وفق إيديولوجيات وضعوها مسبقاً في نظرياتهم التقليدية في علم الاجتماع العام، فقد قاموا بدراسة المدرسة كنظام

(1) - عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سابق، ص 61.

(2) - طارق السيد: مرجع سابق، ص 41.

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

اجتماعي وثقافة المدرسة والبناء الاجتماعي لها، وهذا ما يعكس في مجمله النظريات التقليدية الكلاسيكية السابقة.

ومن المنظورات الحديثة في مجال علم اجتماع التربية: منظور التفاعل، منظور الثقافة ومنظور التنظيم، سنحاول إعطاء ماجاء به كل منظور فيما يخص دراسة المدرسة.

1- منظور التفاعل: ويركز هذا الاتجاه على:

1- الأفراد والفئات المتفاعلة.

2- توعية الأدوار.

3- السلوك.

4- رد الفعل من جانب التلاميذ والمعلمين والإدارة المدرسية⁽¹⁾.

وقد ظهر من خلال تحليلات المنظورات السابقة (البنائية والصراع) مدى اهتمام هذين المنظورين بالمدرسة باعتبار أنها نسق فرعي يرتبط بالنسق الأكبر الذي توجه به، وعلى العكس فمنظور التفاعل يركز على دراسة العمليات الداخلية في المدرسة أو تحليلها من الداخل ولا يحللها من الخارج كما هو الحال في المنظورين السابقين، وقد تأثر الكثير من أنصار هذا المنظور بأفكار جورج ميد وغيره، ثم تطورت هذه الأفكار على يد العديد من العلماء مثل: هولتر شيمان، جوليان فورد، جاكسون، هارجريفر، وغيرهم⁽²⁾.

ويهتم أنصار هذا المنظور بدراسة المدرسة على أساس أنها أحد التنظيمات الاجتماعية أو بيئة رمزية لبعض الأفراد الذين يشكلون بناءاتها الرسمية والقواعد والعلاقات الاجتماعية تمثل جزءا كبيرا من مكونات هذه البيئة، كما أن تلك العلاقات تشكل أنماط السلوك، الدور، رد الفعل، توقعات الفاعلين.

2- منظور الثقافة: اهتم أصحاب هذا الاتجاه على:

1- دراسة المدرسة من حيث كونها نسق اجتماعي وثقافي تربطه روابط ببقية الأنساق الأخرى.

2- دراسة بعض المظاهر الثقافية الداخلية التي توضح واقعية البيئة الثقافية⁽³⁾، وتعتبر تحليلات "ولايرد والر" واحدة من التحليلات التقليدية التي ركزت على دراسة المدرسة من الناحية الثقافية

(1) - طارق السيد: مرجع سابق، ص46.

(2) - عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سابق، ص80.

(3) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص.ص(50-53).

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

وتتكون الثقافات من: العادات والتقاليد، الأمثال، الفلكلور، الخرافات، التابو، الشعائر السحرية، المراسيم، الاحتفالات، الأغاني، وهذا ما يظهر فيما يردده التلاميذ في الفناء وفي الفصل، فالمدرسة تقوم بأدوار وظيفية كثيرة ومن هذه الأدوار: نقل الثقافة من جيل إلى جيل، ومن جهة أخرى الثقافة والمدرسية تسبب نوعا من الصراع داخل المدرسة، ويظهر هذا الصراع من خلال مظهرين رئيسيين هما:

أولاً: من خلال وظيفة المدرسة كمركز للإشعاع الثقافي.

ثانياً: ما يظهر بين التلاميذ والمدرسين من صراع وخصوصاً وأن كل منهما يحاول الدفاع عن ثقافة جيله، وتظهر ثقافة المدرسة العديد من مظاهر المدرسة، خاصة الأنشطة المدرسية الرياضية كانت أم ترفيهية، علمية أو تربوية، فهي تظهر طبيعة التنشئة التربوية السليمة داخل المدارس، فتقافة المدرس تساعد التلاميذ على التحصيل، كما تحقق لهم الإشباع الذاتي.

3- منظور التنظيم:

يركز هذا المنظور على التنظيمات التربوية والتي تشمل المدارس والمعاهد والجامعات، وكان أول من وضع هذه التحليلات "جورج جنسن" ومن بعده "تالكوت بارسونز"، وقد اعتبر أن المدرسة نسق فرعي، يتفاعل مع الأنساق الفرعية الأخرى، إضافة إلى التحليلات التي جاء بها كل من: مارش، سايمون، ستير بلاو، وليم سكوت، كورون، بيكن، وكان يميز تحليلاتهم إثارة الكثير من القضايا كقضية دراسة الثقافة المدرسية وأدوار التلاميذ والمدرس⁽¹⁾.

ولقد اهتم هذا المنظور بدراسة المدرسة بواسطة استعمال وحدات التحليل الصغرى والكبرى وذلك من خلال الاهتمام بدراسة القضايا الداخلية بالمدارس والفصول الدراسية، واهتم كذلك بالبناء التنظيمي الداخلي.

وكتعقيب يمكننا القول أن المنظورات السوسيولوجية الحديثة التي تناولت دراسة المدرسة باعتبارها من التنظيمات والمؤسسات التربوية، والتي تلعب دوراً أساسياً في المجتمع الحديث.

6-2- المدرسة وإعادة الإنتاج:

إن المدرسة في مجتمعنا هي إحدى مؤسسات المجتمع المدني الأساسية التي تنتظم في نسق كلي للمجتمع وفق قواعد محددة، وتخصصت تاريخياً في مجال الممارسة التربوية الثقافية، وتلتقي بذلك

(1) - طارق السيد: مرجع سبق ذكره، ص.ص (54-56).

في وظيفتها وتتكامل مع الأسرة في مجال التنشئة الاجتماعية الثقافية، وقد نشأت المدرسة في المجتمع البشري الذي عرف تقسيم العمل وتشكل الدولة لتكون رديفا للأسرة في الوقت الذي استحال فيه على الأسرة تلقين النشء مختلف المعارف الثقافية، وهي تؤدي دورها هذا المنوط بها تحت هيمنة الدولة والطبقة السائدة؛ فهي إحدى أجهزة الدولة الإيديولوجية في مجال الفعل التربوي، يقول ماركس: "إن الأفكار السائدة هي أفكار الطبقة السائدة وهي أيضا أفكار الهيمنة"⁽¹⁾، والسمة السائدة والطاغية على مؤسساتنا التعليمية هي سمة السلطوية التي ورثها نظامنا التعليمي عن النظام التعليمي التقليدي وطمعها الاستعمار لخدمته تم حافظت البورجوازية على إستمراريتها بعد الاستقلال، وقد بقي النظام التعليمي ممزقا وتابعا للمركز الاستعماري على المستوى التنظيمي وعلى مستوى التسيير زد على ذلك محتوى البرامج والمناهج المدرسية، كما أن الطبقة المسيطرة تهيمن بشكل مفرط على مراقبة الانتقاء لتكريس طابع التراتبية.

وهكذا فالمدرسة اليوم تلعب دورا أساسيا في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع محققة هيمنة الدولة وسيادتها بواسطة الإقناع والتراضي حسب تعبير "غرامشي" أو بواسطة عنف وإكراه وقسر يختلف عن عنف الدولة المادي بكونه عنفا رمزيا حسب "بيير بورديو".

6-3- المدرسة والتغير الاجتماعي:

يحدث التغير الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات بقصد وبدون قصد ويكون من طرف مؤسساته الاجتماعية المكونة له، والمدرسة هي إحدى هذه المؤسسات، ويكون التغير عن غير قصد بطيئا وغير منتظم، في حين يكون التغير المنتظم بتعاون وتأزر المؤسسات الاجتماعية في العمل من أجل، وبذلك تضمن ما ينجر عن التغير الاجتماعي غير المنتظم.

ويرى بعض المربين أن باستطاعة المدرسة لوحدها إحداث تغير جذري في سلوك تلامذتها بل وإحداث تغير في بناء المجتمع نفسه، كما يمكنها تثبيت دعائم المجتمع، بينما يرى البعض الآخر أن المدرسة قادرة فقط على تغير أنماط السلوك في تلامذتها وتعديلها بصورة غير جذرية، وذلك لأن المدرسة تقوم في وسط ثقافي له تأثير قوي عليها وعلى التلاميذ، فهم معرضون لضغوط ثقافية في حياتهم الأسرية⁽²⁾، وإذا استطاعت المدرسة تغير نمط السلوك الظاهري لتلاميذها، فهي تعمل على

(1) - مقال لـ: عبد الله العبادي: المدرسة والمجتمع والسلطة (التراتبية والطبقات وإعادة إنتاج الهيمنة)، أفكار وقضايا جريدة العرب الأسبوعية: عدد 2008/07/06.

(2) - فكري حسن ريان: مرجع سبق ذكره، ص.ص (118-120).

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

بترقية حياتهم الشخصية وذلك عن طريق تكوين العادات والمهارات وهذا ما تعمل المدرسة من أجله، إلا أن المدرسة لا تستطيع لوحدها تغيير أنماط القيم الأساسية في ثقافة المجتمع، لأن القيم تنمو نتيجة خبرات لا حصر لها، والمدرسة ماهي إلا إحدى المؤسسات الاجتماعية المتعددة التي تؤثر في الجيل الناشئ، وعلى المدرسة إن استطاعت تغيير تلك القيم إذا بذلت جهدا كبيرا لتحقيق ذلك، ويصعب ذلك إذا رفضها المجتمع⁽¹⁾.

إن أثر المدرسة في التغيير الاجتماعي يظهر جليا من خلال ما تقدمه لتلاميذها من خبرات تعمل في اتجاه نموهم الفكري، الأمر الذي ينعكس على المجتمع الذي ينتمون إليه، فبعض هؤلاء التلاميذ سيشكلون قادة سياسيين وأصحاب قرار في المستقبل.

6-4- المدرسة كنظام اجتماعي:

تعتبر المدرسة من المؤسسات القيمة على الحضارة العالمية، كما أن كثيرا من التربويين لا ينظرون إلى المدرسة على أنها مجرد مؤسسة تعليمية بل يعتبرونه نموذجا مصغرا لمجتمع انساني متكامل، ويميز "فرديناند توني" في هذا المجال نوعين من أنواع الارتباط الاجتماعي:

النوع الأول: طبيعي عضوي تحدده عوامل الميلاد أو الوراثة، حيث لا يكون الأفراد فيه جزرا منعزلة كما هو الشأن في نظام الأسرة أو القبيلة، فهم يتصرفون بصورة طبيعية مع بعضهم بعضا ولا يحتاجون إلى عقد اجتماعي يمارسون به سلوكهم على نحو خاص.

النوع الثاني: اصطناعي ويقوم على العقلانية ويمكن لكل فرد فيه أن ينسحب من عقد الزواج.

ويلاحظ "توني" أن تطور المجتمعات واتساعها يؤدي بالضرورة إلى أن تصبح من النوع الثاني وكلما كثرت المجموعات الصغرى والنقابات والاتحادات وغيرها أصبح المجتمع بالضرورة متباعدا ويفتقر إلى الرابط⁽²⁾.

ويرى علماء التربية أن المجتمع المدرسي يمكن تصنيفه ضمن النوعين السابقين أو يمكن أن يكون تشكيله متميزة عنها، كما يرون اعتماد الأمر على الطريقة التي ينظر إليها مدير المدرسة للعملية التربوية، ولاشك أن حجم المدرسة يلعب دورا كبيرا في هذا الاتجاه.

(1) - انظر الموقع الالكتروني: بتاريخ زيارة في 2010/03/20 على الساعة 11.00 سا.

(2) - لمزيد من الاطلاع زيارة موقع: <http://www.almarefah.com/article.php?id=1553> الثلاثاء :

22.52. 2007/08/21 الساعة

الفصل الثالث: _____ المدرسة أدوار ووظائف

وتتحدد طبيعة البناء الاجتماعي للمدرسة حسب نسق الأدوار والقيم وتقسيم العمل الذي يتحدد بدوره كنتيجة لطبيعة الفئات من هيئات التدريس والمديرين والتلاميذ، كما تعتبر المدرسة كبناء اجتماعي له أنماط معينة من الحياة الاجتماعية اليومية، في إطار عملية التعلم والتنشئة الاجتماعية والثقافة المدرسية، وتحدد الأدوار للتلاميذ أو المدرس أو غيرهم من فئات المدرسة، من خلال تقسيم العمل والمراكز التي تحتلها كل فئة من الفئات الموجودة في المجتمع⁽¹⁾.

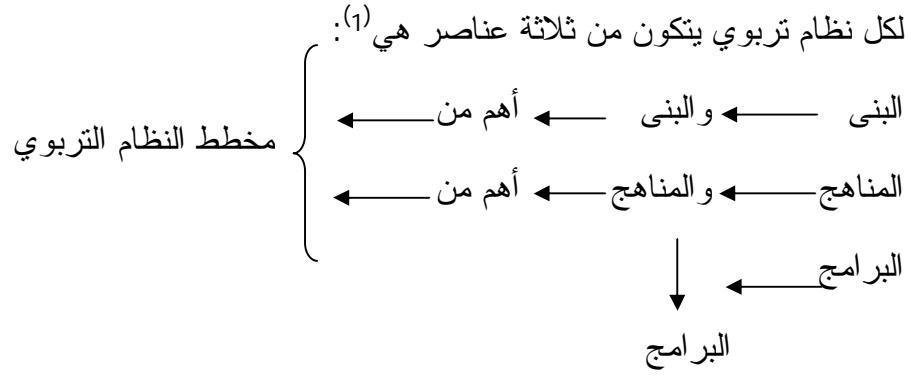
تتكون المدرسة من المدراء والمدرسين والفئات الإدارية والمهنية المساعدة والتلاميذ ولكل فئة دور مهني يتحدد وفقا للمراكز الوظيفية وطبيعة العمر الزمني، وكل فرد له دور معين اتجاه الآخر يترتب عليه ما يعرف بالدور المتوقع الذي يرتبط بثقافة المدرسة وتقاليدها".
والشكل التالي يوضح المدرسة كنظام اجتماعي.

الشكل رقم 05: يوضح المدرسة كنظام اجتماعي



المصدر: عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سبق، ص 127.

(1) - عبد الله محمد عبد الرحمن: مرجع سبق ذكره، ص.ص (61-62).



البنى: تتمثل في مجموع الصيغ الإدارية والتعليمية التي تتم ضمنها العملية التربوية.

المناهج: وهي أهم من البرامج، فإذا كانت مركزية تؤدي إلى التلقين وإذا كانت قاعدية تميزت بالنقد والتعديل والمبادرة، فالنجاح.

البرامج: وتتبع المناهج، كالتعليم المبرمج، أي أن البنى أهم من المناهج والمناهج أهم من البرامج.

(1) - بلقاسم سلاطينية، علي بو عناقفة: مرجع سبق ذكره، ص 52.

خلاصة

تعد المدرسة مؤسسة اجتماعية لا تقل أهمية عن الأسرة، فهي في الحقيقة الطريق الذي يمر منه الطفل من حياة الأسرة المحددة إلى الحياة الاجتماعية الواسعة النطاق، فهي المؤسسة المقصودة والهامة، لتنفيذ أهداف النظام التربوي والمؤسسة الثانية التي تعمل على رعاية الطفل خلقياً وفكرياً واجتماعياً، وتساعده على عملية التكيف الاجتماعي خاصة مع التطورات الحاصلة على مختلف مجالات الحياة، في تتأثر بقيم ومعايير ومعتقدات وأفكار ومبادئ المجتمع الذي تنتمي إليه، لتصبح جزءاً لا يتجزأ منها.

فوظيفتها الأساسية التربوية والتعليم، وفق أهداف وبرامج تنموية، هدفها إعداد جيل واع ومتعلم يطمح إلى التقدم والرفق، تستمد قيمها ومبادئها ومعتقداتها من قيم وتعاليم المجتمع التي هي جزء منها فتعمل على نقل التراث الثقافي والتاريخ الحضاري لذلك المجتمع عبر الأجيال والمحافظة عليه، كما أنها مؤسسة تنمو فيها العلاقات بين التلاميذ والمعلمين، وتتفتح من خلالها إمكانيات الأفراد وأنشطتهم الفكرية لصبغوا أفراداً فاعلين في الحاضر والمستقبل عاملين على دفع مجتمعاتهم نحو النمو والازدهار.